بين الإلحاد والأديان والإسلام

ثلاثون يوما في رمضان ثلاثون سؤالا من الالحاد إلى الإيمان

محمد عزالدين البرهومي

مكتبة أنوار العلم والحكمة
للنشر الإلكتروني

بين الإلحاد والأديان والإسلام

محمد البرهومي

الموضوع: **مقارنة أديان**

مدخل لعلم مقارنة الأديان باتباع منهجية البحث السليمة والإجابة على الأسئلة الكبرى

الصفحات: **122 صفحة** الحجم: **17*24 سم**

تاريخ الإصدار:

21 محرم 1446 الموافق لـ 27-07-2024

الإصدار الأول

جميع الحقوق محفوظة لجميع المسلمين

الكتاب بتنسيق قابل للطبع، كما أن النسخة الالكترونية روابطها تفاعلية سواء عناوين الفهرس أو حتى رمز التواصل كما يمكنكم التواصل معنا عن طريق البريد لإرسال كتاباتكم للنشر ان شاء الله:

Libanwarbook@gmail.com

الفهرس

الفكرة 5

مقدمة 6

هل الله موجود؟ 7

صفات الله 12

لماذا الدين؟ 17

الهندوسية 22

البوذية 24

اليهودية 27

المسيحية 32

البهائية 37

القاديانية 39

المورمونية 41

الإسلام 43

القرآن 46

السنة 52

الدعوة الإسلامية 57

المذاهب الفقهية.....62
المدارس العقائدية.....68
العدل والظلم في الإسلام.....73
اللغة العربية والقرآن.....78
الكعبة.....81
الحجاب.....83
الزكاة.....86
الصوم.....88
الحج.....91
الرجل في الإسلام.....94
المرأة في الإسلام.....97
أهل الكتاب في الإسلام.....103
العلم في الإسلام.....107
الدولة الإسلامية.....109
حال المسلمين اليوم.....114
لماذا أختار الإسلام.....117
خاتمة.....120

بسم الله الرحمن الرحيم

الفكرة

منذ أيام، قبل حلول شهر رمضان المعظم، خطر ببالي تأليف هذا الكتاب، الذي يتناول موضوع الوجود في مرحلة أولى، ثم يناقش كبرى الأديان والبعض من الأديان المعاصرة، لينتهي النقاش بمسائل حول الإسلام وأحكامه كرد عن المفتريات والشبهات.

وقد عقدت العزم أن أكتب هذا الكتاب طيلة الشهر الكريم لذلك سميته ثلاثون يوما في رمضان، ثلاثون سؤالا من الإلحاد إلى الإيمان[1]. وسأطرح في كل يوم سؤالا متعلقا بالله، وجوده، صفاته، ثم سأناقش الأديان وأثبت بطلانها علميا وعقليا، ثم سأناقش موضوعات الإسلام حتى أقيم الحجة على حقيقته كدين حق ومصدره الإلهي.

الجمعة 28 شعبان 1440 الموافق لـ3 ماي 2019

[1] غيرت الاسم فيما بعد لما ييسر الله سبحانه وتعالى تصوير حلقات ونشرها على يوتيوب إلى "بين الإلحاد والأديان والإسلام"

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا الكتاب هو رحلة بحث، تمتد طيلة شهر رمضان، رحلة من الإلحاد إلى الإيمان. رحلة البحث عن الوجود والأديان والإجابة عن أسئلة وشبهات حول دين الإسلام، من وجهة نظر محايدة وبألفاظ تكون مادية أحيانا.

دائما ما يُلقى علينا البعض من هذه الأسئلة، وقد نسأل أنفسنا أحيانا البعض من هذه الأسئلة. هل الله موجود؟ ماهي صفاته؟ لماذا يجب أن أتبع الدين؟ هل حقا أن الدين هو ضرورة حتمية؟ ماهي الهندوسية؟ اليهودية؟ المسيحية؟ البهائية؟ والكثير من الأديان؟

ما هو الإسلام؟ ماهي المذاهب الفقهية؟ وما هو الجهاد؟ ولماذا تعدد الزوجات؟ ولماذا نصلي إلى الكعبة؟ لماذا الصوم؟

الكثير من الأسئلة التي سأجيب عنها في هذا الكتاب هي أسئلة مهمة ومفيدة للرد على كل مشكك خبيث يسعى للتشكيك في الدين الإسلامي، أو يسعى للتشويه وتقول الأقاويل، دون دليل أو علم.

الأحد 30 شعبان 1440 الموافق لـ5 ماي 2019

هل الله موجود؟

هذا السؤال، هو السؤال الأكثر طرحا من كل منكر لوجود الله، وقد يكون إنكاره لغاية في نفسه، أو من باب الشك في وجود الله، أو من باب الاستفزاز فقط لا غير. ولكن المؤسف أن أغلبية من يؤمنون بوجود الله لا يملكون الدليل على ذلك، فقد يكون إيمانهم نابع من إحساس داخلي، أو تقليد للمجتمع والآباء، أو قد يكون اقتداء بمن يرى أنه ذو عقل راجح.

الله، الخالق، وخلقه دليل على وجوده، ولكن إثبات ذلك يستوجب دليلا، وربما أدلة وإثباتات، وتختلف الأدلة والإثباتات من شخص لشخص حسب فهمه وطريقة اقتناعه. فليس بالضرورة ما أؤمن به سيؤمن به غيري، وليس منطقيا أن تكون حججي مقنعة لكل الناس بمجرد اقتناعي بها.

أولا، هذا الوجود، كيف وُجد؟ هذا السؤال هو بداية البحث، كيف وُجد هذا العالم، هذه الأرض، هذه الشمس، المجموعة الشمسية، الأبراج، المجرات، العناقيد المجرية، السدم...

هذا الكون بكل تفاصيله، بل دعنا نقول، هذا الكون مصمم بدقة متناهية، بتعقيد غير قابل للاختزال، كله يسير طبق نظام مضبوط، نظام دقيق، كل حركة وسكنة هي في تناغم تام وكامل مع باقي الكون. دوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس وفق مسار محدد وبسرعة مضبوطة، لو زادت أو نقصت

أو تغير المسار لاختفى كل شيء. ودوران باقي الكواكب في مساراتها وطرقها وفق حساب دقيق يعجز أعظم العلماء عن تفسيره، فكيف يمكنهم تصميمه؟

هذا النظام الذي، وكما ذكرنا، يعجز أعظم العلماء عن تفسيره، أكثر من ثلاثمئة مليار مجرة، هذا ما تم اكتشافه، أو ما تمت مشاهدته، فيما يسمى بالكون المرئي، فكم بقي من الكون لم نره إلى يومنا هذا؟ أو بالأحرى كم بقي من المجرات لم يصلنا ضوؤها لنكتشفها ولنعلم وجودها... وكم من النجوم والمجموعات الشمسية والكواكب وغيرها من الأجرام لا يزال مجرد اسم أو رقم في سجل أسماء الكواكب والنجوم والأجرام السماوية.

هذه المجرات التي لا يمكننا الوصول إليها أبدا ومطلقا، بحسب ما يتوفر لدينا من علوم ومعارف وتقنيات، ولبعدها ملايين ومليارات السنوات الضوئية. أيّ كون هذا؟ وكم حجم هذا الكون؟ بل كم حجم مجموعتنا الشمسية؟ بل دعنا نقول كم نستغرق من الوقت لنصل لأطراف مجموعتنا الشمسية، والوقت المستغرق من الأرض لأقرب الكواكب، وهو المريخ، مسيرة سنوات.

هل رأيت هذا النظام العجيب، كواكب تدور حول شمسها، والشموس تدور حول مركز مجرتها، والمجرات تسير في مساراتها، ألا ترى أن هذه الصورة هي نفسها تلك التي في الذرة؟ أليس التصميم نفسه والنظام نفسه من الذرة إلى المجرة؟ ألا يعني لنا هذا أن المصمم واحد. من صمم هذا النظام؟ وجعله يسير طبق قوانين؟ ألا يدل هذا على صانع مصمم خالق أعظم من عقولنا وتفسيراتنا البسيطة؟ لذلك ذهب جمع من العلماء إلى تبني نظرية التصميم الذكي، وهي حقيقة هذا الكون الذي لا نرى فيه من تفاوت.

وإذا نظرنا في أجسادنا، في ظاهرنا وفي باطننا، في كل كائن يتحرك على سطح هذه الأرض. مجموعة من الآلات المعقدة، فاقت في دقة تصميم كل الأدمغة والعقول البشرية، وعجز العلماء عن تقليدها، وسيضلون عاجزين... وهذا من البديهيات التي لا يمكن أن نسلم بغيرها. فحتى وإن تمكنوا من صنع الانسان الآلي، فهل سيتمكن هذا الإنسان من التزاوج والتكاثر؟ هل ستتمكن مجموعة الإلكترونيات القابلة للتعطل بمجرد أن ترتفع الحرارة أو تنخفض أكثر من المستوى العادي أن تشبه الانسان أو تماثله؟ طبعا لا.

هذه الكائنات الحية، بل هذه الآلات المعقدة التصميم والتكوين، معجزة في ذاتها، وكل جزء منها ينطق بالإعجاز، وأهم هذه الأجزاء أصغرها، تلك الخلية المجهرية، التي لا يمكننا رؤيتها بالعين المجردة لصغرها، وحتى زمن قريب كانت غامضة لنا لا نعرف ماهيتها، إلا بعد تطوير الميكروسكوب الإلكتروني، لتصبح الخلية أصغر معمل على سطح هذه الأرض، بل هو حصن حصين، مصمم بطريقة معقدة، بوابات وحراسات وآلات نسخ الحمض النووي وحركة دائمة لآلاف الجزيئات.

لنقف وقفة بسيطة ونتأمل، كل ما في هذا الكون، بل دعنا ننظر إلى كل مصنوع على سطح هذه الأرض، سنرى دليلا في كل صنعة على صانعها، كل شركة أو كل شخص له نمط وطريقة خاصة في التصميم، حتى طريقة الكتابة، كل شخص له طريقة خاصة في التأليف والكتابة، كل شركة الكترونيات لها طريقة خاصة، شركات السيارات كذلك، شركات البناء، وغيرها من الأمثلة. ألا يدل هذا على انعكاس صورة الصانع الأول على صنعته؟ فالإنسان ما هو إلا مخلوق

بسيط يعيش على سطح أرض، بالنسبة لهذه المجرة مجرد كوكب من جملة مليارات الكواكب، وهذه المجرة ماهي إلا مجرة من جملة مليارات المجرات، فالأرض بالنسبة لكون كحبة رمل مقارنة برمال شواطئ هذه الأرض.

قد يرى البعض أن هذه الحجة ماهي إلا دليل على أن هذا الكون وُجد صدفة، لكن الصدفة التي قد يؤمن بها البعض لا يمكن أن تضع هذا الإنسان في مكان يسمح له برؤية وتدبر هذا التعقيد الهائل، وهذه القوانين الفيزيائية والفلكية المعجزة، وأما كون لا يمكن للعقل البشري فهم سر نواميسه.

الصدفة مجرد حدث قادح لا يصنع نظاما محكما دقيقا. وما أثبته العلم الحديث، بخصوص بداية الكون وتكونه من كتلة توسعت أو انفجرت منها بدأ هذا الكون بالتشكل بحسب مراحل على مدا ثلاثة عشر مليار سنة تقريبا حتى يصير الكون الذي نعيش فيه، لا يمكن أن يكون صدفة، وتبقى مجرد نظرية.

حتى نتأكد من أن الصدفة لا يمكنها صنع نظام محكم، لنحاول التجربة، كما حاول الكثيرون، وكما تحدى آخرون، ولنسأل أولا، هل يمكن لانفجار في مصنع خشب أن ينشئ لنا قطعة أثاث واحدة متقنة الصنع؟ هل يمكن للتصفيف العشوائي للحروف أو الرقن عليها في جهاز الكمبيوتر أن يكون لنا جملة واحدة مفيدة ناهيك عن كتاب كامل؟ كل هذا لا يستقيم في العقل ولا يمكن أن نقبله بأي شكل من الأشكال، ولا يوجد أي إثبات علمي يمكن أن يدلنا عليه أو يثبته.

هل يمكن أن يكون الله قد خلق خلية واحدة ثم تركها تتطور بمفردها حتى ظهر هذا الكم الهائل من المخلوقات، كل تطور حسب حاجياته للحياة، سواء من

الحجم أو طريقة العيش أو حتى البنية. كيف يمكن لهذا الخلية أن تتطور شيئا فشيئا فتصير سمكة، ثم هذه السمكة تتطور لتصير زاحفا، وهكذا... وهذه العملية هل يوجد عليها إثبات علمي؟ مجرد تخمينات، أو مجرد فرضيات بديلة لنصرف نظر عن حقيقة الخلق.

الخلق حقيقة مؤكدة في ذاتها وبجميع الأدلة الطبيعية في الكون، ولم أخض في الدلائل العقلية من باب التيسير وبساطة الطرح. كل ما يمكننا قوله، لا يمكن للفوضى أن تصنع نظاما محكما. ولا يمكن أن يوجد مصنوع دون صانع، وكلما زادت دقة المصنوع عرفنا حكمة وعظمة الصانع.

الاثنين 1 رمضان 1440 الموافق لـ 6 ماي 2019

صفات الله

الله الخالق لكون مترامي الأطراف، من هو؟ ومن يكون؟ وماهي صفاته؟

للإجابة على كل سؤال متعلق بالله وصفاته، يجب أن تكون الإجابات مبنية على العلم والمنطق، أي لا تكون إجابات خيالية، أو إجابات بلا دليل سواء آمن البعض بذلك أو لا، من باب التقليد أو من باب المجاملة.

وضع الله لهذا الكون بداية، أي بداية وجود، بداية حياة، بداية تكوين تكوّن فيها الكون... وما أقره العلم وسلم به، أن القوة الموجدة للكون لابد وأن تكون قوة خارقة في المقام الأول، وأن تكون عارية عن صفات الكون الموجود، أي أن تكون القوة الخارقة بلا بداية، أزلية الوجود.

وهذه القوة الخارقة، أو الطاقة الغامضة ليست إلا قدرة الله، وهي صفة من صفات الله المتعلقة به، وأزليتها هي أزلية الخالق. فالقدرة حسب التعريف البسيط، هي إيجاد كل موجود أو إعدامه، أي إخراج الموجودات من العدم أو نفي صفة الوجود عنها. والموجود هنا الذي حدث وله بداية وجود ويحتاج لمن يوجده وليس الخالق الواجد الأزلي. والقدرة ليست مجرد صفة أو قوة خارقة، فهي دليل على موجد واحد، وقادر واحد يمكنه إيجاد الأشياء من العدم. فالإنسان مهما تطورت معارفه يبقى مفتقرا للموجودات للصنع والخلق والإبداع، مستغلا في ذلك قدرة الخالق في الإيجاد. فالخالق وحده من ينفرد بكمال هذه الصفة وهي القدرة.

أما الأزلية، فهي صفة ثابتة بثبوت حدوث الكون وبدايته، فلو لم يكن الله أزليا لكان مساويا للكون في بداية الوجود ومفتقرا لمن يوجده، أو بالأحرى يخصصه بالوجود، وبالتالي تسقط عنه صفة الألوهية. أزلية الوجود تعني أن الله واجب الوجود عقلا وعلما، وكما ذكرنا في الفصل السابق ضرورة وجود خالق هي حقيقة علمية ومنطقية. ولكن الدليل العقلي في زمن الجهل صار مرفوضا.

الأزلية هي الوجود، بلا بداية، وبلا نهاية، وبلا تخصيص بالوجود، أو تخصيص بالصفات... الأزلية هي وجود ذاتي لا بداية له. ولولا تسليم العلم الحديث بذلك لخضنا في بحار من التأويلات والصراعات مع منكري وجود الله. لكن دعونا نفكر قليلا. هل يشبه الصانع شيئا من صنعه؟ طبعا لا بد وأن يكون الصانع مسيطرا على صنعته متحكما بها ممسكا بزمام أمرها... وإلا صار الصانع غبيا وعاجزا. وحاشاه سبحانه وتعالى أن يكون عاجزا. والعقل يحكم بافتقار الموجودات بمن يوجدها ويخصصها بصفاتها، والخالق لا يفتقر لشيء.

لكن ما ينطق به الكون هو حكمة الصانع البالغة وهيمنته الكاملة على هذا الكون المعجز، ولولا هذه الهيمنة الكاملة لضعنا في دوامات الزمان ولما كان كل هذا النظام في الكون. وبالتالي فإن الكون الموجود، له بداية وجود، ويقر العلماء أن بداية الكون هي البداية لمفهومي الزمان والمكان. وبالتالي نستنتج دون طول تفكير أن الله لا يحده المكان ولا يجري عليه الزمان، لأنه هو خالقهما، وحدّ بهما خلقه، وهو غير محدود بدليل ما تقدم ذكره.

الواجب الوجود، أو الأزلي الوجود هو خالق حكيم، دائم الوجود لا ينقطع خلقه وصنعه، بكمال قدرته... فالحياة صفة من صفاته الأزلية المرتبطة بالوجود،

وقدرته هي ما نراه في هذا الكون. فحياته أزلية، وقدرته أزلية، ووجوده أزلي، لكن صفة قدرته هي ما نراه في الكون. وهذا دليل على علمه المطلق، علمه منذ الأزل بما سيكون عليه هذا الكون، علم ليس بكسب بل علم ذاتي.

إنه الخالق العليم، يعلم ما كان، وما يكون، وما سوف يكون، وما لم يكن إذا كان كيف سيكون في كل زمان ومكان. إنه علمه الأزلي، العلم الذي به قدر لهذا الكون هذه الوجود، وبعلمه وضع القوانين المفسرة لسير الكون الخاضع لقدرته في كل حركة وسكنة. علم الله الأزلي، علم لا تسعه الأفهام، ولا تعلمه العلوم، هو علم فاق كل علومنا، علم عالم حكيم أزلي الوجود كلي القدرة.

ولكن لإتمام حلقات الكمال لصفات الخالق، يجب أن يكون لهذا الخالق إرادة، فالعلم والقدرة وحدهما لا يكفيان لإيجاد هذا الكون المعجز. هذا الكون من صنع إله أزلي الوجود، بقدرته أوجد هذا الكون، ولكن القدرة تستوجب الإرادة، والإرادة هي المشيئة، وهي التخصيص بالصفات، وهذه المشيئة لتترجمها القدرة لابد من علم، وهذا العلم لابد وأن يكون علما كاملا، وبالتالي تكتمل حلقات الخلق بصفات خالق حي عليم مريد قادر. حياته أزلية، واجب الوجوب ليس لوجوده بداية وليس له نهاية. علمه أزلي وكامل، قدرته كلية، مريد، وإرادته هي مشيئته. كل صفاته أزلية، لا يجري عليها زمان ولا يحدها مكان ظاهرة في الخلق.

هذه الصفات، بالنظر فيها تجد أنها منطقية بلا شك، بل إنك لن تجد صفات منطقية أكثر من هذه، ناهيك عما أثبته العلم، مما ذُكر عن الخلق، وعن الخالق. هي صفات أزلية، صفات الكمال، لا يمكن أن تكون صفات عجز، بل العجز أبعد ما يكون عن الخالق المتصف بالكمال.

وأهم صفة من الصفات، الصفة الجامعة لكل الصفات، هي الوحدانية، الوحدانية في الذات والصفات والأفعال. فالله واحد، لا يمكن أن يكون أكثر من واحد. فهو خالق كل شيء، ولو كان معه خالق آخر لما كان كلي القدرة، ولكان عاجزا وناقصا ومفتقرا لما سيخلقه الخالق الآخر، أو سيكون التناحر بين خالقين، كل يحاول إثبات قدرته وكمالها، فهذا يخلق وهذا يعدم، وهو ما سيسبب خراب الكون، وهذا محال لعدم خراب الكون والخلق.

أما إذا كان الخالق أكثر من واحد فسنطرح سؤالا مهما، من وجد قبل من؟ ومن خلق الزمان والمكان؟ وهل أنهم كلهم أزليون؟ وإذا كانوا كذلك فلماذا متعددين؟ وإذا كانوا يكملون بعضهم فهذا يعني أنهم ناقصين في ذاتهم ولا يمكن أن يكون كل منهم إله، لأنهم يفتقرون لبعضهم وهذا عجز.

هذا الإشكال، وهذه المعادلة، هي من أهم المشاكل المطروحة، والتي قد تتسبب في إنكار وجود الله، لفرض بعض الثقافات أو الأديان شكلا أو تصورا معينا للإله لا يمكن أن يكون صورة حقيقية أو تفسيرا منطقيا أو تعريفا علميا لماهية الخالق. فالخالق إن تعدد صار مفتقرا لغيره، وانتفت عنه صفة الكمال، وبالتالي ندخل في طريق لا نهاية له من التناقضات. وسيصبح من الصعب الوصول إلى الفهم الصحيح لمعنى الإله الخالق كلي القدرة أزلي الوجود.

صفات الله، هي صفات خالق كامل، مسيطر على خلقه، مسير لنواميس الكون وقوانينه، عالم بكل حركة وسكنة في هذا الفضاء المترامي الأطراف، لا يمكننا رؤيته لكمال صفاته، لأنه الله اللامحدود، فكيف يمكن للمحدود أن يحد اللامحدود، وكيف لنا أن نراه ونحن نعيش في عالم محدود بمكان وزمان، فلا يمكننا

سوى التفكر والبحث والنظر لمعرفة وجود خالق والتيقن من ذلك. وإلا فلا يمكن أن نحيط به علما أو أن ندرك أكثر مما ذكرنا من صفات الكمال.

وفي السياق نفسه، الله سبحانه وتعالى ليس غائبا عنا أو يحتجب أو يختفي حاشاه، بل لو كنا نراه لما كان هو الإله. وكيف تدرك الأبصار من لا يجري زمان ولا يحده مكان والعين محدودة لا تبصر إلا الأجسام التي تعكس الضوء ولا تتجاوز أبعادها أبعاد الحدود الثلاثية الأبعاد المكانية والبعد الزماني. ولو فرضنا أن العين أبصرت، فهل ستعرف الإله إذا رأيته.

الإنسان محدود في كل شيء فيه، ولا يمكنه إدراك وفهم أسرار كوكب الأرض وحده، فضلا عن المجموعة الشمسية، ومما لا شك فيه يجهل تمام الجهل أسرار هذه المجرة. فكيف يريد أن يكشف سر الخالق، أليس هذا الجهل المركب بعينه، عفانا الله وعفاكم.

الثلاثاء 2 رمضان 1440 الموافق لـ 7 ماي 2019

لماذا الدين؟

فعلا لماذا الدين؟ لماذا يقيدنا الخالق الكلي القدري بأحكام يجب علينا تطبيقها؟ هل هو في حاجة إلى عباداتنا تلك؟ هل هو بحاجة إلى إيماننا بوجوده؟ ما القصد من الأديان وهذه الطقوس؟ هل الأديان من الخالق أم هي من صنع البشر؟ وإن تحقق أنها من الخالق ما الحكمة التي ترتبط بها؟ وما المنقعة المرجوة منها؟

الدين حقيقة هو علاقة بين الله والإنسان، ولو نظرنا في كلمة دين، نراها مشتقة من معنى أن شخص ما تدينا منه مالا أو شيئا، فبقي ذلك الدّين في انتظار السداد، فهل الدين هو ديْن يجب علينا سداده؟ نواصل النظر في ذلك، وحتى دون أن نصل، بدءا بآلة التفكير، العقل، وما هو إلا آلة معقدة لها قدرات خارقة، فلو تلفت هذه الآلة لصرنا هائمين على وجوهنا في الطرقات، ونصنف كمختلين عقليا، وذلك بسبب خلل في آلة التفكير.

هذه الآلة وحدها هي هبة من الخالق، قد تكون هبة مجانية وقد تكون بمقابل وقد تكون في إطار عطاء لا محدود، والدّين الذي يجب تسديده ما هو إلا اعتراف بالجميل، وانقياد لمن خصصنا بهذه النعمة وهذه العطية، ومحاولة منا لأن نكون شاكرين على ذلك، والعقل عطية من جملة عطايا لا تُحصى. فمثلا لو وهبنا أحدهم سيارة فاخرة، ووصولات بنزين تكفي لمدة قرن، وبطاقة بنكية بها مبلغ فلكي، ومنزل فخم، وجميع وسائل السبل والراحة، وطلب منا طلبا بسيطا، وهو أن نتصل

به في أوقات محددة في اليوم لنشكره على ذلك، أو أن نحدث كل من يعترضنا عن عطية هذا الشخص، أو أن نسير على برنامج حياة محدد فيه تجنب لبعض الأفعال... فكيف ستكون ردة فعلنا؟

إن العطية في هذا الموضوع أعظم من مجرد تنفيذ طلبات بسيطة للتعبير عن الشكر والامتنان، بل قد تكون هذه الطقوس البسيطة سببا في عطية أعظم من ذلك. وقد تكون مجرد امتحان من صاحب العطية التي تراها عظيمة بينما في نظره بسيطة لأنه يخفي العطية العظيمة فعلا.

والدين ليس مجرد اعتراف بالجميل لخالق منحنا ووهبنا عطية عظيمة، ونعم لا تحصى ولا تعد، فنبدأ بالعقل ونتفرع، وكلما ذكرنا نعمة وجدنا أنها من جملة نِعم لا تُحصى، فنعمة البصر، هي رؤية كل ما حولنا من جمال، جمال الخلق والإبداع، جمال ضحكات الأطفال الأبرياء، جمال تبسم والديك ورضاؤهم عنك، جمال الطبيعة الخلابة، جمال الألوان في المصنوعات، جمال الشروق والغروب، جمال منزلك وأثاثك وكل مقتنياتك.

بعينيك ترى النور المنعكس فترى ألوان هذا العالم المليء بالأشياء الجميلة وترى بعينيك الحقائق. ماذا لو أغمضت عينيك ليوم واحد وسرت في الطرقات تسمع الضجيج من حولك دون أن تدرك ماذا يحدث حقيقة؟ ماذا لو أعصب أحدهم عينيك بعصابة خاصة، صممت لتغلق عينيك برقم سري فلا تُفتح، فكم ستدفع مقابل فك هذه العصابة؟ خاصة إذا علمت أن مجموع المحاولات إن تجاوز عدد معينا فستبقى هذه العصابة مغلقة للأبد.

ماذا لو أن خبيرا بإمكانه فتح تلك العصابة بسهولة تامة، لكن المال لا يعني له شيئا، وكلمات الشكر لا تعني له شيئا، بل كل طلباته زيارته يوميا والبقاء معه لمدة ربع ساعة تحادثه ويحادثك، ألن تقبل بذلك على الفور؟ ألن تصير ممتننا له طيلة حياتك؟

والدين في أحكامه وقوانينه، ووعيده بالجزاء والعقاب، نظام خارق في المحافظة على مصالح العباد، لأن الانسان المؤمن سيكون على يقين بأنه تحت مراقبة الخالق، وخرقه للقانون سيكلفه الكثير، فهذا القانون ليس مجرد قانون وضعي، يمكن خرقه والهرب من بلد إلى بلد آخر، أو إخفاء الأدلة، أو إرشاء القاضي أو حتى تعيين محامي جيد. فهذا القانون وهو الشرع حساب خرقه مؤجل ليوم لا تراجع فيه.

كل هذا لا يجدي نفعا مع خالق وضع دينا كقانون ثابت، مخالفه يلقى عقابا عظيما في آخر المطاف. كما أن بعض المعاصي يتوعد فيها الخالق المسيء بالجزاء في الحين، قبل الجزاء الأخير، فكل هذه الأحكام هي أوامر لتنظيم حياة الناس والمحافظة على مصالحهم.

وتختلف الأديان من حيث أحكامها ونظمها وحتى طقوسها ومعتقداتها، ولكن في النهاية، الدين ضرورة حتمية لا مفر منها، فالدين هو تلك العلاقة والطريقة التي بها وبواسطتها تلقى الله وتخاطبه وتطلب منه العون والمدد. وبدون الله سيجد الإنسان ضائعا كسفينة بلا شاطئ أو مرفأ.

الدين وكما ذكرت هو المنظم لحياة الناس، هو المبين لحقيقة الخالق، هو الرادع لكل شخص عن عمل الشر والإساءة لغيره، فلو كان الناس بلا دين لكانوا جميعا

مثل لينين وستالين وماو تسي تونغ وغيرهم ممن أجرموا بحق الإنسانية جمعاء بلا شفقة ولا رحمة. فكيف سيكون حالنا، دون وجود طريقة اتصال بخالقنا، نطلبه ونرجوه ونتوسل إليه، فإما أن نكون وحوشا بشرية لا رحمة لنا، وإما أن نكون مضطهدين في هذه الأرض.

وقد يعتقد البعض أن الدين مجرد طقوس روحية، فالإنسان بحاجة للروحانيات، لذلك الوقت الذي يقضيه في الترانيم والتراتيل، تلك الحاجة للخروج من ضغط الحياة المادية والعيش في حياة روحانية بحتة ولو لبعض الوقت... فتجد البعض يسعى للمعابد ويعتكف بها لوقت طويل حتى يفرغ تلك الشحنات المادية ويمتلئ بالروحانيات المعنوية. والدين هو مزيج بين هذا وذاك، بين وقت الاتصال بالخالق، في خشوع، واستسلام للخالق العظيم، وبين سير على قانون منظم، ينظم سير حياتك وكل خطواتك. هو الاستسلام لأوامر من خصصنا بالحياة وأعطانا هذه النعم التي لا تحصى.

وبما أن الله الخالق العظيم، ذو علم كامل، فهو العالم بنا وبأنفسنا. فستكون أوامره ونواهيه بمثابة دليل الاستخدام، كما لكل آلة دليل استخدام وتوصيات من الصانع، فلا عجب أن الله، وهو المثل الأعلى خالق نواميس الكون وقوانينه، ولهم الصانع البشري العاجز لذلك، قد أقر لنا الدين ليكون دليل استخدام لنا، ليحفظنا من كل شر قد يحيط بنا، ويحمينا من كل خلل قد يصيبنا، ويرشدنا إلى الطريق القويم الذي به نحيا حياة سعيدة.

وهكذا، الدين وكما ذكرت سابقا، هو ضرورة حتمية بلا شك. هو الحافظ لنا، من تلك الحياة المادية البائسة، ومن ذلك الضغط اليومي الكئيب، الدين هو دليلنا

لمعرفة خالقنا ومعرفة الكيفية التي تسمح لنا بإرضائه والتقرب منه عن طريق ما أمرنا به أو ما طلبه منا.

فالدين هو المطابق للعلم والعقل، لا يختلف معهم أبدا، فالدين ليس أوامر تعجيزية، أو مجرد أحكام نظرية، بل يجب أن يكون الدين نظاما صالحا لكل زمان ومكان، يخدم مصلحة الإنسان ويخرجه من الهم الدائم ومصائب الزمان، ويكون هو الطريق الذي يحدد له الملجأ والاتصال بالله.

الأربعاء 3 رمضان 1440 الموافق لـ 8 ماي 2019

الهندوسية

الهندوسية، واحدة من أديان الشرق، وتُعد من أقدم الديانات على سطح الأرض، كما يصعب تعريف هذه الديانة لكثرة تفريعاتها ولتعقيد معتقدها، وضياع الكثير منها وتبديله، ولكثرة الآلهة فيها، وحتى الإله الذي بحسب معتقدهم هو إله الآلهة فهو بثلاث وجوه، أو بثلاث صور منفصلة، براهما الخالق، وفيشنا الحافظ، وشيفا المهلك.

وتنقسم الهندوسية لعديد الفرق، أو المدارس الهندوسية بحسب نظامها الديني، وبالرغم من ذلك، تبقى هذه الديانة مفتقرة للتوحيد. كما ذكرنا لإلههم ثلاث صور مختلفة، أي أن هذا الإله مركب، وهذا مخالف لدليل العقل والعلم ولا يمكن أن يكون إله.

كما أن الهندوسية كدين وكمعتقدات وكطقوس، لا يمكن أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، خاصة وأنها من الديانات الروحية من جهة، وتعتبر من الديانات الوثنية من جهة أخرى، فهي تمتاز بكثرة الآلهة وتعددها كما ذكرنا، كما يشتهر الهندوس بصناعتهم ونحتهم لتماثيل آلهتهم.

وهذا التجسيد والتصوير باطل في حق الله، فلا يمكن أن يكون الإله صخرا أو حجرا، كما لا يمكن تجسيده في صخرة منحوتة أو تصويره أو تصوره، فالإنسان محدود في عالم محدود، لا يمكنه أن يحد اللامحدود بخياله.

للديانة الهندوسية كتب مقدسة تسمى الفيدا، وأقدمها كتاب الريك فيدا الذي يعتبر أقدم كتاب مقدس. يرجح البعض أنها في الأصل كتب سماوية دخل عليها التحريف، كما أن هذه الكتب تحوي الكثير من التعاليم الدينية، والصلوات والتراتيل والقصص والأساطير كذلك.

عندما ننظر للهندوسية نظرة عامة، لا يسعنا إلا القول أنها مجرد ديانة روحانية في الغالب، تؤمن بأساطير لا واقعية، بالرغم من وجود أصل قد يكون من الله، لكن بمرور الزمن، تغيرت وحرفت وازدادت فيها التناقضات وتعدد الآلهة وغيرها من الاعتقادات الفاسدة.

وهذه الديانة التي تم تحريفها لا يمكن أن تكون دينا لكل البشر، وتكون تشريعا عاما لكل الناس، فقد تكون دينا خاصا بمكان وزمان مؤقت، ولكن لا يمكن أن يكون الدين الكامل من الإله الكامل. كما أننا نجهل حقيقة كيفية تبليغ هذا الدين لسائر البشر. كما أن التعاريف لهذا الدين وتاريخ نشأته تبقى غامضة ومبنية على ظنون لا مكان لليقين فيها.

الدين الحق، يجب أن يكون مبنيا على الحق، بيقين تام لا بمجرد ظنون، كما أن الدين الحق لا يمكن أن تكون معتقداته مخالفة للعلم والعقل وخاصة في تعريفه لله وتصوره.

الخميس 4 رمضان 1440 الموافق لـ 10 ماي 2019

البوذية

رابع أديان العالم اعتناقا، وتنتشر في الغرب والشرق، وهي في الأصل حركة رهبانية هندوسية، لكن مؤسسها وهو بوذا أنكر الكثير من المبادئ في الهندوسية ومنها إنكار الكتب المقدسة وقرر لنفسه مبادئ خاصة.

حسب ما يُحكى، نشأ بوذا في العائلة المالكة للهند حوالي 600 ق.م. وقد كان يعيش في حياة مترفة، وذلك بسب إبعاد والديه له عن العالم الخارجي ومشاكله، ولكن بسبب رؤيا، ظهر فيها الزاهد سعيدا، كما جاء في القصص، قرر خلع ثوب الرفاهية ولبس ثوب الزهد وترك تلك الحياة المترفة.

بدأ بوذا حياته الجديدة، بتعذيب النفس أو الذات وحرمانها من كل الشهوات والملذات، فصار بذلك حكيما، ووضع عدة قواعد ومبادئ، وتسمى هذه المبادئ بتعاليم بوذا، وهي إنكار للذات في الأصل وزهد في الدنيا، وسيطرة الروح على الجسد لا تحكم الجسد بالروح من خلال الشهوات.

لم يدعي بوذا النبوة أو الرسالة، بل هو شخص اختار لنفسه طريقا للحياة السعيدة، ووجدها في الزهد وفي التعاليم التي وضعها. فالبوذية ليست إلا منهج حياة مبني على تجربة الشخص الذي سميت باسمه هذه الديانة.

ولكن إن أردت التدقيق أكثر في معاني الكلمات، سنجد أن البوذية ليست دينا، بل هي نظرية، ولا يمكن أن تكون منهج حياة كذلك، لما فيها من تعاليم لا

يمكنها مجاراة الواقع. فلو اتبع كل الناس البوذية، فسيصبح هذا العالم عاتما، لا نبض فيه، كل يسعى للزهد، واتباع طريق الروحانيات.

بدأ بوذا بالدعوة إلى مذهبه، بعد فترة طويلة من الزهد والحياة الخشنة، ثم اللجوء إلى التأمل والاستغراق، حتى وصل إلى درجة المستنير بحسب فهمه، أي أنه صار صاحب بصيرة وفكر مستنير. وهذه المرحلة تسمى بوذا بحسب تعريف مذهبه. وهب بوذا حياته لتعليم الناس ما توصل له من حكمة واستنارة، وصار يتنقل من قرية لأخرى معلما للناس.

لم يدون بوذا ما وصل إليه من استنارة في حياته. بعد وفاته جمع أتباعه تعاليمه ودونوها وشرحوها في عدة كتابات، فصار يصعب التفريق بين مواعظه ومواعظ أتباعه، وبالتالي حتى المنهج الذي وضعه بوذا لا يمكننا الجزم بأنه لم يتغير.

لا تعارض البوذية تعدد الآلهة، كما لا تؤمن بإله واحد خالق أزلي، وهدفها الوحيد هو الوصول إلى حالة التنور القصوى، وتسمى النيرفانا، وهي التحرر التام عبر كسر دور الحياة، وهي بداية الخلاص من شهوات الجسد وحب الملذات والارتقاء الروحي. وهذه الحالة لا يمكن بلوغها إلا من عدد قليل من الرهبان الذي كرسوا حياتهم لذلك.

البوذية، ديانة روحية، يصعب تطبيقها بل قد يستحيل، لما فيها من تجرد تام من كل معاني الحياة. وبالرغم من ذلك فهذه الديانة، لا يمكن أن تكون من الله، لثلاثة أسباب، الأول أن مؤسسها لم يدعي ذلك وأسس منهجه طبقا لتجربته

الخاصة، والثاني أن البوذية في حد ذاتها لا تعنى بمسألة الإله وعبادته، والثالث هو أن البوذية في بعض فرقها تنكر الإله وتسعى للرقي الروحي لتصبح الروح أزلية.

هذا المنهج هو بالأساس تعذيب للإنسان، ليصل أخيرا إلى أوهام حسية ليست واقعية، ولا نعتقد أن الله الحكيم خلقنا ليعذبنا، وما الفائدة من حياة قاسية لا جدوى منها سوى محاولة الوصول إلى أوهام لا تضر ولا تنفع.

الجمعة 5 رمضان 1440 الموافق لـ 10 ماي 2019

اليهودية

تعتبر ثالث الأديان السماوية، تمتاز بأنها ديانة عرقية، تورث عن طريق الأم فقط، أي أن اليهودي أو اليهودية يجب أن يكون ابنا لأم يهودية. وبسبب ذلك عدد معتنقيها ضئيل جدا مقارنة بالمسيحية والإسلام.

كما تعتبر اليهودية أقدم الأديان السماوية، وباعتبار أن التوراة هي كتاب اليهودية المقدس، فهو أقدم كتاب سماوي لو سلمنا بأن كتاب الريك فيدا الهندوسي ليس بكتاب سماوي بل مجرد كتاب ديني مقدس.

المؤسس الرسمي لهذه الديانة هو النبي موسى عليه السلام، فهو نبي مرسل من الله، أرسله ليحرر اليهود من عبودية فرعون، وأخذهم لأرض الموعد وهي الأرض المقدسة فلسطين اليوم. وهذه الحادثة هي التي شق فيها الله البحر لسيدنا موسى ليعبر اليهود ثم أطبقه على فرعون وجنوده فأغرقهم. وبعد هذه الحادثة أنزل الله ألواح الشريعة إلى موسى، والشريعة تعني التوراة باللغة العبرية.

تعتبر التوراة من مصادر التشريع، وهي تسمى أيضا بالعهد القديم، وهو الكتاب الأول من الكتاب المقدس الذي يطبع باللغة العربية، ويؤمن به المسيحيون، فيكون العهد القديم في أوله والعهد الجديد في آخره، والعهد الجديد هو الإنجيل، وسيأتي بيان ذلك في حديثنا عن الديانة المسيحية.

التوراة تتكون من مجموعة كتب أو كما تسمى أسفار، تنقسم إلى عدة أسفار أولها أسفار موسى الخمسة، ثم الأسفار التاريخية، ثم الأسفار الشعرية فأسفار الأنبياء الكبار وأخيرا أسفار الأنبياء الصغار.

يختلف اليهود في حقيقة التوراة، هل هي أسفار موسى الخمسة وحدها أم هي كل أسفار العهد القديم التي تسمى البانتاتيك، وذلك لإيمان طائفة الصدوقيين بهذه الأسفار وحدها ككتاب مقدس، وعدد من الطوائف تؤمن بالعهد القديم كاملا مع اختلاف الترتيب مع المسيحيين. وعدد آخر يؤمن بأسفار أخرى تاريخية تسمى القانونية الثانية.

كما أن التوراة التي بين يدينا اليوم ليست هي نفس التوراة السامرية، وتحوي الكثير من التغيير والاختلاف، والتوراة السامرية هي التي كتبها السامريون بعد السبي واختلفوا فيها مع العبرانيين في كثير من النقاط. وتسمى بأسفار موسى لأن المشهور أن النبي موسى هو الذي كتبها، في حين أن التوراة تتحدث عن تلقيه لألواح الشريعة من عند الله فقط والتي فيها الوصايا العشر... أما الأسفار التي بها الشريعة وتروي تاريخ بني إسرائيل في البرية فهي تأليف مجهول أسند لموسى.

وسبب ادعاؤنا بأن كاتب هذه الأسفار مجهول هو طريقة كتابة هذه الأسفار، فهي تروي قصة تاريخية لا تشريع على لسان نبي أو رسول، كما أن آخر الأسفار من الأسفار الخمسة، وهو سفر التثنية يروي قصة وفاة موسى ودفنه في مكان مجهول وكأنها حادثة مرت عليها مدة زمنية طويلة.

كما أن للتوراة مكانة في الديانة اليهودية، إلا أن التلمود لا يقل عنها قيمة في الشريعة اليهودية، والتلمود هو الميراث الشفوي للنبي موسى، دوّنه رجال الدين اليهود لاحقا واعتمدوه كمصدر للتشريع. ويختلف التلمود البابلي عن التلمود السامري. كما أن قراءة وتفسير هذه الكتب لا يمكن للعموم أن يخوضوا فيها، فطرق تفسير اليهود معقدة لاعتمادها على نظام الترقيم في الأحرف ومعاني باطنية وروحية كثيرة لا يفهمها إلا رجال الدين اليهودي. ويبقى بذلك التفسير الحقيقي لهذه الكتب حكرا على الحاخامات والربيين اليهود.

الشريعة اليهودية شريعة صعبة التطبيق، لما فيها من تشديد وتفاصيل كثيرة. كما أن تطبيق الشريعة اليهودية قائم على الهيكل وتقدمة المحرقات. وفي غياب الهيكل تضل العبادات اليهودية ناقصة. فنظام الكفارات في الشريعة اليهودية متصل بالهيكل الذي لا وجود له اليوم.

يؤمن اليهود، بحسب شريعتهم، أنهم أفضل شعب على مر الزمان، فهم شعب الله المختار، الشعب الذي اختاره الله ليكون لهم ربا، وأن باقي الشعوب، وحسب تعريفهم لهم "الأمميين" أو "الأغيار" أدنى منهم رتبة وخلقوا لخدمتهم ولرعايتهم.

ينتظر اليهود منذ زمان بعيد، بعثة نبي، يكون لهم ملك، يحررهم ويجمعهم من شتاتهم ويعيد توحيدهم مرة أخرى ويقيم مملكة اليهود ليحكموا العالم ويسيطروا عليه، ويسحقوا جميع أعدائهم. إلا أن هذا القادم قد يكون المسيح الذي بحسب معتقدهم ومعتقد المسيحيين قتلوه، أو قد يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي حكمت مملكته العالم لكنه لم يكن نبيا لليهود خاصة بل لكل البشر.

ينسب اليهود إلى الله عدة صفات عجز في التوراة وخاصة في التلمود، فهم يصفونه بصفات بشرية، ككونه على صورة آدم أول مخلوق بشري، وأنه نزل على الأرض وصارعه يعقوب فهزمه ومقابل هزيمة الرب سماه إسرائيل، كما أنه يندم على أفعاله كندمه على خلق الانسان، وغيرها من الصفات البشرية التي لا يمكن أن يتصف بها خالق السماوات الأرض.

كما يعتبر اليهود أن رجال دينهم من الحاخامات والربيين على درجة علمية أكثر من الرب، وهذا ما يذكروه في التلمود. وما يدعم حقيقة هذا الادعاء القصة التي ذكرناها سابقا عن يعقوب، وهي موجودة في التوراة، أي التي تسمى أسفار موسى الخمسة، في أول سفر وهو سفر الخروج (الخروج 24: 30 – 32).

يعتقد المسلمون أن كلا من التوراة والإنجيل محرفان، وذلك لضياع النسخ الأصلية وهذا ثابت، فلا نملك إلا مخطوطات مختلفة لعديد الأسفار التاريخية، سواء كانت الأسفار الموجودة في العهد القديم أو أسفار أخرى تسمى أسفار مزيفة أو أسفار منحولة، يرفضها كل من اليهود والمسيحيين، أو يختلفون في قبولها.

اليهودية، دين خاص باليهود فقط، وليس دينا عاما لكل الناس، ويظهر ذلك حتى في معاملاتهم ووجودهم في المجتمعات، فهم شعب منطو على نفسه، كثيرو الحذر من الآخرين، لا تربطهم بغيرهم سوى المصالح، كما أن شريعتهم تحرم الربا فيما بينهم وتجيزها مع باقي الناس الذين يعبر عنهم بالأغيار. وتختلف اليهودية كدين عن الصهيونية كحركة سياسية قومية، فكلاهما مختلف عن الآخر، لأن اليهودية دين، والصهيونية حركة سياسية علمانية. ومازال الكثير من الفرق اليهودية التي ترى أن أرض فلسطين محرمة على اليهود.

ضياع الشريعة وأصولها، وعجز الرب وتغلب الانسان عليه، وشعب مختار وباقي الشعوب أدنى منه درجة. دين وراثي وعرقي... كل هذه الأسباب والحقائق تحول بين اليهودية وعموم انتشارها، كما أنها السبب الرئيسي لعدم قبول أن اليهودية دين من الله. وقد تكون اليهودية دين من الله لكن لشعب معين في زمان معين، وليست بتلك المبالغة التي يصر عليها اليهود أو يؤمنوا بها، لكن في النهاية، لا يمكن أن تكون هذه المعتقدات من إله حكيم، فالعقل يحكم بأنها ديانة تم التلاعب بأصولها ومبادئها.

لكن، هل أن الديانة المسيحية تماثلها في ذلك؟ مع العلم أن المسيحية مبنية على أساس الديانة اليهودية؟

السبت 6 رمضان 1440 الموافق لـ 11 ماي 2019

المسيحية

المسيحية هي أكثر الأديان اعتناقا بحسب آخر الإحصائيات في زمن تحرير هذه السطور، وبحسب إحصائيات أخرى فهي الثانية بعد الإسلام. وتنتشر المسيحية في كل الأرض تقريبا، وتزداد انتشارا لكن بطريقة بطيئة جدا بالرغم من الدعاة إليها منتشرون في كل ربوع الأرض وبدعم مادي كبير جدا.

المسيحية هي تتمة للديانة اليهودية في الحقيقة. فبحسب أقوال المسيح أنه جاء ليتمم الناموس، أي الشريعة، ولم يأت لينقضها. ولكن اليهود لم يعترفوا به ولم يصدقوا أنه المسيح المنتظر، لأنه لم يكن ملكا ولم يدعوهم للثورة على السلطة الرومانية وتحريرهم وإنشاء دولة مستقلة.

الكتاب المقدس للمسيحية هو الإنجيل ولم يكتب المسيح فيه حرفا واحد. يتكون الإنجيل من أربعة أناجيل وتسمى بشارات، تروي قصة المسيح، والأحداث التي مر بها حتى إلقاء القبض عليه من اليهود وصلبه حسب زعمهم. والإنجيل هو كتاب تعاليم المسيح في الظاهر، لكن أقواله قليلة جدا مقارنة باقي الأقوال والتعاليم.

ويلي هذه البشارات الأربعة سفر أعمال الرسل وهو السفر الذي يروي سيرة حواريي المسيح بعد رفعه، ثم مجموعة الرسائل، وهي رسائل أرسلت للجماعات المسيحية، وأخيرا سفر الرؤيا، وهو سفر يروي فيه يوحنا، ويعتقد أنه من حواريي المسيح، مجموعة رؤى، يرويها لنا وكأنها نبوءات للمستقبل.

لم يكن في عهد المسيح أو حتى في عهد الحواريين كتاب مجموع يسمى الإنجيل، بل كانت كل الكتابات متفرقة، والكثير من حواريي المسيح كتبوا أناجيل وبشارات ورؤى وكتابات يفسرون فيها ويروون فيها ما حدث، سواء كانت سيرة المسيح أو تعاليمه. وباختلاف ما جاء فيها جميعا وقع الاختيار على ما بين أيدينا اليوم مجموعا، وبقيت باقي الكتابات تصنف ككتب مزيفة أو أبوكريفية كما يسميها المسيحيون.

المؤسس الحقيقي لهذه الديانة هو بولس، الذي كان اسمه شاوول الطرسوسي، كان يضطهد المسيحيين، وفي رحلته إلى الشام إدعى أن المسيح ظهر له وعينه ليكون رسوله للأمم، فجاب بولس البلاد يبشر بهذه البشارة ويعلم الناس هذا الدين، ونشر تعاليمه الخاصة وتفاسيره في ربوع الأرض. وغلبت أقواله على أقوال غيره من الحواريين وحتى على أقوال المسيح وتعاليمه.

تمثل كتابات بولس ثلثي الإنجيل، وذلك عن طريق رسائله التي أرسلها للجماعات، وهي مجموعة تعاليم وتعليمات وتفسيرات لعقائده الخاصة. وفي تلك الفترة التي نشر فيها بولس تعاليمه لم يكن للإنجيل وجود، أو كما يسمى أيضا بالعهد الجديد. وبالنسبة لتاريخ جمع أسفار العهد الجديد الأرجح أنه بعد أربعة قرون من رفع المسيح. كما أن كتابات باقي الحواريين لا تعد ذات أهمية مقارنة بكتابات بولس، بل ان أغلب الكتابات المرفوضة والتي تعد مزيفة هي كتابات حواريي المسيح.

يؤمن المسيحيون، بأن آدم أخطأ في الجنة، فأخرجه الله منها، وبما أنه أبو البشر فقد أصبح خاطئا، وورث بقية البشر الخطية منه، فصرنا كلنا خطاه، وبما أن الله قد أعد الجنة للبشر، وآدم خالف أمر الله وأكل من الشجرة المحرمة، فقد حرمنا

كلنا من هذه الجنة وحملنا ذنب آدم. وعوقبنا بالشقاء في الأرض والموت، لأن جزاء الخطية هو الموت.

ولكن بحسب إيمانهم، الله قدوس ولا يغير قصده، فقد أعد خطة خلاص للبشرية، ليخلصهم من الخطية، وليعيشوا بقية حياتهم في الجنة، حياة أبدية روحية. ولكي يتم الخلاص لابد من ذبيحة، فبحسب زعمهم وبحسب ما جاء في الكتاب المقدس بعهديه، فإن الله يحب الذبائح والمحرقات.

ولكي تتم الذبيحة، لابد وأن يكون الفدية إنسان كامل بلا خطية، ولكن بعد خطية آدم صار كل البشر خطاه، ولا يمكن لإنسان أن يفدي البشرية بموته وتحريرهم من الخطية والموت وإرجاعهم للجنة. وبهذه الطريقة يكون الله قد أتم خطته وأعاد البشر للجنة التي خلقهم لأجلها.

وبما أن جميع البشر خطاه كما ذكرنا، فقد قرر الرب أن يتجسد في شخص المسيح، وينزل للأرض، ويموت على الصليب، ويقوم من بين الأموات، معلنا بذلك أن الفدية قد تمت، وأنه هزم الموت. وكل من يؤمن بهذه الفدية يخلص ويكون في الجنة. وبالرغم من أن وجهة النظر المسيحية أن جميع البشر خطاه إلا أن المخلصين هم فقط من يؤمنوا بهذه الفدية.

ليس المجال هنا لتبيان أخطاء هذه العقيدة، فقد بيناه في موضع آخر، ويستطيع القارئ الرجوع لكتاب "نقض أساسيات الإيمان المسيحي" لكن هنا هو مجال النظر والتأمل في الدين بنظرة عامة. هل يمكن أن تكون المسيحية دين الله حقا؟ هل يمكن للإله أن يتجسد؟ أو أن يصبح محدودا؟

يؤمن المسيحيون بأن الله ثالوث، أي أنه الآب والابن والروح القدس. وبحسب التفسير اللاهوتي وهو مصطلح يعني العقيدة المسيحية، أن الله واحد بثلاث أقانيم. والأقنوم هي كلمة يونانية، تعني أن كل شخص يقول أنا. وتفصيل هذا الثالوث بأقانيمه الثلاث، الآب وهو الله الخالق، والابن هو الرب المتجسد في شخص المسيح، والروح القدس هو قوة الله الفعالة، وثلاثتهم هم الله، ولكن ثلاثتهم ليسوا هم، أي أن الآب ليس الابن أو الروح، والابن ليس الروح أو الآب، والروح ليس الآب أو الابن.

وهذا الثالوث هو أصل العقيدة المسيحية، فهو يسمى باللاهوت، ولكن العديد من الفرق المسيحية تختلف في أصل العقيدة. فيذهب بعضهم أن المسيح بطبيعة واحدة، هو بشر وإله في نفس الوقت. ويؤمن آخرون أن المسيح بطبيعتين، طبيعة بشرية وطبيعة إلهية. وآخرون يعتبرون أن الروح ليس أقنوم من أقانيم الثالوث.

وبتقدم العلم والمعارف، وتطور العلوم، والاكتشافات الحديثة، وقعت الكنيسة في مأزق كبير، حول حقيقة الله بين معتقداتهم وما أثبته العلم. فثار الناس على الكنيسة، واختلفت الفرق المسيحية في ذلك، فذهب بعضهم للتوحيد، كما أنكر بعضهم الولادة من عذراء، وقال آخرون أن المسيح رئيس الملائكة وليس إله.

كما أن هذه الثورة تسببت في إنكار أسفار من الكتاب المقدس، تنتمي للعهد القديم، ينكرها بعض الفرق اليهودية وتؤمن بها البعض الآخر، فأنكرتها طائفة البروتستانت الحديثة، التي ثارت على الكنيسة بقيادة مارتن لوثر، واحتفظ بها كل من الكنيسة الكاثوليكية، أي مسيح الروم، والكنيسة الأرثوذكسية، أي مسيح الشرق.

وبنظرة عامة عن كثب، نرى أن أهم شيء في هذه الديانة هو إيمانهم بإله مركب، وأن نظرتهم للرب لا توافق العلم الحديث ولا العقل السليم، كما أن تعاليمهم مبنية على آراء أشخاص مشكوك في أمرهم وانتمائهم لهذا الدين. كما أن كتابهم كتب بعد وفاة المسيح بعدة سنوات، وجمع بعد ذلك بكثير في ظروف غامضة، وتحت إشراف أشخاص لا نعرف غايتهم في ذلك.

لذلك هذه الديانة، وبالرغم من انتشارها الواسع، إلا أنها لا يمكن أن تكون من الله، وذلك لعدة أسباب. أولا مسألة انتشارها، فالتاريخ يشهد أن السلطة الرومانية أجبرت الناس على اعتناق هذه الديانة عنوة وقتل كل مخالف لأمر الكنيسة. كما أن هذه الديانة عندما حكمت العالم، عن طريق الكنيسة ورجال دينها، عاش الناس عصورا من الظلام، والاضطهاد والاستبداد، فكانت تلك بداية انتشار تلك الديانة، وتم إحداث محاكم تفتيش تعذب كل مخالف للكنيسة، وأخيرا وليس آخرا، فساد الاعتقاد في الله، وتجسيده ومخالفة العلم والعقل فيما يجب أن يوصف به الخالق.

الأحد 7 رمضان 1440 الموافق لـ 13 ماي 2019

البهائية

البهائية هي أحد الأديان الحديثة، التي ظهرت في بلاد فارس في القرن التاسع عشر، على يد الباب، وهو سيد علي محمد، وإدعى أنه مبعوث من الله، ليس نبيا أو رسولا بالمعنى الحرفي للنبوة والرسالة، ولكنه جمع بين تعليم متناقض، وفكرة لا يمكن أن تستقيم لكل عالم بالإسلام والمسيحية، ألا وهي أنه المسيح المنتظر من جهة، والمهدي المنتظر من جهة أخرى. وهو ما لا يمكن تصديقه وما لا يمكن أخذه بعين الجد، وذلك لأن كل من المصادر المسيحية والمصادر الإسلامية تحدد بدقة المجيء الثاني للمسيح وإتمامه لمهمته، وخاصة الإسلام عني بذلك عناية كبيرة. أما بخصوص المهدي المنظر فقد وضحت الأحاديث الإسلامية ذلك بكل التفاصيل وبكل دقة، عن الزمان والمكان والكيفية التي سيظهر فيها المهدي المنتظر.

ونسبة البهائية ترجع لبهاء الله، وهو لقب أسنده الباب المذكور أعلاه لأحد أتباعه المسمى بحسين علي، وذلك بعد أن تنبأ بأنه رسول سيظهره الله وستكون له مكانة سامية، وسيدعو للعدل والإنسانية وجميع المعاني السامية من توحيد الأديان ونبذ الحروب والصراعات.

لهذه الديانة كتاب يسمى الكتاب الأقدس، كتبه بهاء الله، ومعه بعض الكتب الأخرى التي تعتبر مرجعا رئيسيا لهم وتفاسير لهذا الكتاب، مثل كتاب الإيقان ورسالة تسبيح وتهليل. والكتاب الأقدس بحسب ادعائهم هو وحي من الله.

تعاليم الدين البهائي متغيرة بحسب الزمان والوقائع، فهو لا يحكم الواقع بل الواقع يحكمه، وهذا دليل على عجز مؤسسه على معرفة الغيب وأحداث المستقبل وإقرار شريعة كاملة شاملة موافقة لكل تغيرات العصر. لذلك فالدين البهائي يعتمد على ما يسمى بـ "بيت العدل الأعظم" الذي يقر التشريعات والأحكام. وكأن هذا الدين حزب سياسي أو ما شابه، خاصة فيما يخص النظام الإداري الذي نص عليه البهاء.

بناء هذا الدين باطل، وما بني على باطل فهو باطل، فمؤسسه ادعى أنه المسيح وأنه المهدي، وحاول الجمع بين ديانتين متناقضتين تماما، وهذا خلط ولا يصح.

ثانيا ما رأيناه من عدم ثبات واستقرار لأحكامه، وتأسيسهم لبيت العدل الأعظم للتشريع بحسب الزمان والمكان بأحكام متغيرة، في حين أن الدين ثابت كامل لأنه من إله عالم كامل.

وأخيرا وليس آخرا، هذا الباب ومن بعده البهاء، لم يكونا مؤيدين بأي معجزة أو خوارق للعادات، ولم يكن لدينهم هذا أي تغيير أو أثر بالغ في الحياة البشرية. فالأديان التي سبق ذكره كان لها أثر في حياة الانسان، وغيرت الكثير وتقبلها عدد كبير من الناس. أما هذا الدين فيبقى مجرد دين، بني على باطل، في وقت الاحتلال البريطاني ومحاولته لحرب الإسلام بشتى الطرق.

الاثنين 8 رمضان 1440 الموافق لـ 13 ماي 2019

القاديانية

القاديانية، أو الأحمدية كما يسميها أتباعها، أسسها الميرزا غلام أحمد قادياني، إدعى أنه المهدي المنتظر وأنه المسيح، وأوّل النصوص القرآنية وفسرها بخلاف تفسير المسلمين لها، وبهذا إدعى نفس ما زعمه الباب، وظهور القاديانية الزمني في القرن التاسع عشر في نفس فترة ظهور الديانة البهائية، وبنفس الصيغة يدعوا للشك والريبة. وهي فترة شهدت حربا هوجاء على الإسلام.

يؤمن الأحمديون بالقرآن ككتاب مقدس لهم، ولكن يؤولونه بحسب تفاسير خاصة بهم لتوافق إيمانهم ومعتقداتهم، أو بالأحرى لتوافق أن الميرزا غلام أحمد قادياني هو المهدي والمسيح.

كما يعتمد في إثبات ذلك، إضافة لتأويله لآيات القرآن، على نبوات من الكتاب المقدس، وهو ما لا يمكن قبوله، فالقرآن يتهم صراحة الكتاب المقدس بالتحريف، والكتاب المقدس لا يقر بأن القرآن كتاب من الله.

زد على ذلك اختلاف القرآن والإنجيل في التنبؤ بالمسيح المنتظر، فكلاهما له نظرة خاصة مخالفة للآخر، ولكل منهما تفسيره الخاص لحادثة الصلب مخالفة للآخر، في الوقت الذي يرى المسيحيون أنها محور العقيدة، يؤمن المسلمون بأن المسيح لم يُصلب البتة. فالمسيحيون يروا أن المسيح هو الله، في حين أن المسلمين ينزهون الله على أن يكون له شبيه فضلا على أن يتجسد.

ومن العقائد الأخرى التي يؤمن بها أتباع الطائفة الأحمدية، أن الميرزا غلام أحمد قادياني جاء بروح محمد، ودون الخوض في التفسير لهذا المعنى، فهو جمع بين نقيضين. فلو قال أنه كائن بروحه حقا فهذا تناسخ أرواح، وهي عقيدة وثنية لا يمكن أن تكون من الله. أما اذا قال بنفس ما جاء به محمد فهو قد خالفه في دعواه. والإنسان لا يمكن بروحين بل جسد وروح.

بالرغم من أن القاديانية تؤمن بالقرآن ككتاب مقدس، خلافا للبهائية التي تؤمن بكتابها الأقدس، فإن المسلمين يروا أنهما طائفتان لا تنتميان للإسلام وسبب نشأتهما للنيل منه وهدم أساساته.

مرة أخرى، ما بني على باطل فهو باطل. فبناء القاديانية كتأسيس البهائية كان على ادعاءات متناقضة باطلة، لا يمكن أن تكون حقيقة أو صادقة. كما أن الدين الرئيسي الذي بنيت عليه هذه الأديان والادعاءات، باق ومتماسك خلافا لهاتين الطائفتين التي لا يتبعها إلا بضع ملايين من البشر بالرغم من التمويلات الرهيبة التي تصرف في سبيل التعريف بهما ونشرهما، وتشويه الإسلام.

كما أن الفترة الزمنية التي ظهرت فيها هاتين الديانتين هي فترة حساسة، كان المجتمع الإسلامي يعاني فيها الانقسامات، كما أن الدولة الإسلامية في طور الانهيار، والعدو يحيط بهم من كل جانب. كل هذه المعطيات وهذه الأسباب تجعلنا نسلم بأن القاديانية كشبيهتها البهائية ليست إلا مجرد دين سياسي، لا صلة له بالله ولا يمكن أن يكون دينا من الله خاصة.

الثلاثاء 9 رمضان 1440 الموافق لـ 14 ماي 2019

المورمونية

هي أحد الديانات الحديثة، التي ظهرت في القرن التاسع عشر أيضا، فهذا القرن كان حافلا بظهور عديد الديانات الجديدة التي اعتمد مؤسسوها على ديانات سابقة، منتشرة بكثرة، لها العديد والعديد من الأتباع.

مؤسس هذه الديانة هو جوزيف سميث الابن، إدعى أن وحيا من السماء أخبره أنه رسول للقارة الأمريكية، وأنه سيظهر على يديه ألواح ذهبية، كتبها أنبياء قدم عن طريق الوحي والرؤيا، ثم اختصر كلماتهم النبي مورمون، وهذا السجل يتكلم عن حضارتين عظيمتين، جاءت إحداهما من أورشليم سنة 600 ق.م. وبعد مجيئها انقسمت إلى أمتين، النافيين واللامانيين. أما الأخرى فقد جاءت قبل الأولى بكثير من برج بابل، وكان هؤلاء القوم يعرفون باليارديين، وبعد آلاف السنين دمروا كلهم إلا اللامانيون الذين هم الأجداد الرئيسيون للهنود الأمريكيين.

وما جاء في الكتاب أن المسيح زار النافيين وخدمهم بعد قيامته بقليل، فيشرح كتاب مومون تعاليمه وخطته لخلاص البشر، كما أنه يخبر البشر بما يجب أن يفعلوه كي يحصلوا على السلام في هذه الحياة والخلاص الأبدي في الحياة الآتية.

وحسب ما ادعاه جوزيف سميث، أن مورمون بعد أن أكمل كتابة السجل سلمه لابنه موروني، الذي أضاف بعض الكلمات وخبأ الصفائح في تل كومورة. ثم ظهر موروني كشخص ممجد قائم من الأموات، إلى جوزيف سميث ليعلنه نبيا ويخبره

بالسجل القديم، وبعد أربع سنوات سلمه الصفائح، فترجمها. وهذا السجل المسمى بكتاب مورمون موجود ليومنا هذا ومترجم لعدة لغات، ويعتبره المورمونيون كتابا مقدسا من الله.

كما يدعي جوزيف سميث، أن الرب أظهر الصفائح إلى أحد عشر آخرين وشهادتهم مدونة في مقدمة ذلك الكتاب تحت اسم شهادة ثلاثة شهود وشهادة ثمانية شهود.

من أهم ما يميز هذا الدين الجديد هو السماح بتعدد الزوجات، فمن حق المورموني أن يتزوج ثماني زوجات، وبالرغم من إلغاء الكنيسة لتعدد الزوجات في بداية القرن العشرين إلا أن المورمونيون لم يخضعوا لذلك.

هذه الديانة، ليست سوى مجرد حل سياسي لسكان القارة الأمريكية، أخذت صبغة ديانة، بنيت على ادعاء كاذب كادعاء البهائي والقادياني. وبالرغم من أن هذه الديانة مبنية على أساس الديانة المسيحية وتعترف بكتابها المقدس وأن المسيح هو الرب إلا أن المسيحين يرفضون وبشدة هذه البدعة ويتهمون جوزيف سميث بالكذب.

وبما أن الديانة المسيحية في جوهرها باطلة لمخالفة معتقداتها في الله ما أثبته العلم الحديث وما يقبله العقل السليم، وقد سبق وأن وضحناه، فهذا يعني أن المورمونية كذلك هي ديانة باطلة، لأن ما بني على باطل فهو باطل.

الاربعاء 10 رمضان 1440 الموافق لـ 15 ماي 2019

الإسلام

الإسلام هو ثاني الأديان اعتناقا، وفي بعض الإحصائيات الأول اعتناقا، وهو الدين الأكثر انتشارا، وعدد معتنقيه في تزايد مستمر بطريقة سريعة جدا وخاصة في الدول المتقدمة علميا.

ظهر الإسلام في الصحراء العربية منذ ما يقارب خمسة عشر قرنا، في مجتمع قبلي، يعبد الأوثان، يتخذ من عبادتها تجارة له. نشأ في هذه الصحراء رسول الإسلام، صلى الله عليه وسلم، في أكثر القبائل سيطرة على التجارة في الجزيرة العربية. وتمتاز بوجود الكعبة فيها التي يحج إليها الناس، كطقس ديني موروث من الديانة الحنيفية التي تعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام.

بدأت الدعوة إلى الإسلام بدعوة رجل واحد، دعا إلى نبذ الآلهة جميعا والأوثان والحجارة وعبادة إله واحد، وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، هو الخالق المتصرف في خلقه كيفما يشاء.

عارض أغنياء القبيلة هذه الدعوة لمساسها المباشر بتجارتهم ومصالحهم، فحاربوه، وكادوا له المكائد، واتخذوا جميع الوسائل لإسكات هذه الدعوة والحد منها، ولكن انتشر هذا الدين في صفوف الضعفاء والمستعبدين انتشار النار في الهشيم، لما فيه من مبادئ إنسانية، ولما فيه من قيم العدل والرحمة، هذا إضافة الى دعوة توحيد الله.

ورغم كل ما بذله أغنياء وأعيان القبائل العربية، انتشر هذا الدين وصنع من الضعف قوة فما كان منهم أخيرا إلا أن أذعنوا لهذا الدين. وبهذا انتشر في كل أرجاء القبائل العربية.

وبعد وفاة نبي الإسلام، انتشر أصحابه في أصقاع الأرض، يحررون الشعوب من ظلم حكامهم، ويدعون إلى عبادة الله الواحد، فسقطت أعتى الامبراطوريات في ذلك الوقت، وهي الروم وفارس، واهتزت عروش ملوكهم، بدعوى رجل واحد انطلقت من الصحراء.

كتاب المسلمين المقدس هو القرآن، ويعتبره المسلمون أعظم معجزة باقية على الإطلاق، فالقرآن تحدى كل المعارضين أن يأتوا بمثله فعجزوا، ويبقى بذلك كتابا فريد من نوعه.

الإسلام من أكثر الأديان محاربة في الأرض، ويسعى الجميع لتشويه صورته وربطه بالعنف والإرهاب، ويتهمونه بأنه دين انتشر بالقوة والسيف، ولكن في المقابل يزداد انتشاره في الدول التي تحاربه بشدة، دون حرب أو سيف أو جبر. بل طواعية دون إراقة قطرة دم واحدة.

والإسلام هو دين توحيد خالص، يصف الله بكل صفات الكمال ظاهرا وباطنا، كما أنه دين للجميع لا ميزة فيه لشعب على شعب آخر. هو دين يدعوا للعلم والمعرفة وهو الأقرب للحقيقة والواقع.

سنناقش الإسلام في الصفحات القادمة، وسنناقش المواضيع الإسلامية أكثر جدلا ونبينها، ويكون بيانها نابعا من معاني الإسلام لا من شبهات وكذب مخالفيه

وهي القرآن والحديث ومفهوم الدعوة الإسلامية والمذاهب الفقهية والمدارس العقائدية ومفهوم العدل وعلاقة اللغة العربية بالإسلام ومكانة الكعبة ومفهوم الحجاب والزكاة والصوم والحج ووظيفة المرأة ووظيفة الرجل ومكانة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي والأخلاق والحاكم الإسلامي والغيب، وأخيرا ماذا يعني أن أكون مسلما أو كيف أكون مسلما.

الخميس 11 رمضان 1440 الموافق لـ 16 ماي 2019

القرآن

القرآن هو كلام الله الأزلي المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المعجز في لفظه. هو الكتاب الأكثر فصاحة وإعجازا على سطح هذه الأرض، كما أنه الكتاب الوحيد الذي نقل من جيل إلى جيل بالحفظ في الصدور دون إضافة أو تحريف.

القرآن كتاب تحدى جميع الناس، ومن بينهم أفصح العرب للإتيان بسورة من مثله، لكن عجز عن ذلك العرب وغيرهم والناس أجمعين. فهو كتاب باق كمعجزة خالدة.

أول ما كُتب القرآن مفرقا، ثم جمع في مصحف، وتم نسخه وإرساله للأمصار، كي يكون مرجعا عند الاختلاف، ورغم ذلك، يبقى الحفظ في الصدور هو المرجع الأول للقرآن. وهذا الكتاب، مازالت نسخته الأولى المجموعة موجودة في متحف بتركيا، وأخرى بمتحف بمسجد الحسين في مصر، لا تختلف البتة عن مصاحفنا اليوم.

القرآن، هو كتاب نعرفه كتـّابه، وحفّاظه، وناقليه. فقد نقل إلينا من زمنه إلى اليوم بالحفظ والتواتر، من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه إلى أتباعهم فأتباعهم، بنفس الطريقة، بالحفظ في الصدور، والكتابة في الألواح، بضبط التلاوة وتحقيق مخارج الحروف وطريقة نطقها. ومعاني الكلمات وأسباب النزول والترتيب الزمني قبل أو بعد الهجرة.

وبتطور الزمان صار هذا التدقيق علما يسمى بعلم التجويد، وهو علم يعتني بطريقة نطق الحروف العربية، ومخارجها الصحيحة، وبطريقة قراءة آيات القرآن الكريم، والمواضع التي يجب فيها الإدغام أو الإخفاء أو الإظهار أو الإقلاب، وهي مصطلحات خاصة، تعني طريقة ربط كلمة بكلمة أخرى.

وهكذا بقي القرآن على حاله لم يتغير، سواء في الكتابة، أي شكله ورسمه، أو في طريقة نطقه وتلاوته، ولا حتى في تفاسيره ومعانيه. فبقي حفظه مقيدا بطريق السند المتواتر، لفظا ومعنى وصورة. وبقي تفسيره على حاله في آياته المحكمات لم يتغير معناه.

تحدى القرآن الكريم وهو كلام الله الأزلي، البشرية جمعاء، وتحدى كل مشكك في حقيقة وحي القرآن ومصدره الإلهي. تحدى أفصح قبائل العرب بأن يأتوا بسورة من مثله، وتحدى أهل الكتاب بأن ينقضوا براهين الوحي وأدلة صحته، وتحدى كل البشر بإيجاد خطأ أو تناقض في القرآن.

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[1]

وبالرغم من أن نقض هذا التحدي يسير لو كان القرآن بشريا، إلا أن أهل الكتاب لم يُوفقوا لنقضه، ولم يستطع أي من المشركين أو المخالفين للإسلام والمسلمين ذلك. وهذا دليل آخر على مصدره الإلهي، كيف كان التحدي بسيطا سهل النقض إلا أن المخالفين وبكل ما لهم من قوة ومكر ودهاء وأساليب متطورة ودراسات معمقة ضلوا مؤيدين لصدق القرآن بأفعالهم. بل أفعالهم دليل صدقه.

[1] سورة النساء 82

{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} [1]

تحديات القرآن هي إثبات لحقيقة مصدره الإلهي، هو كلام الله الأزلي، علم الغيب والشهادة وما تخفيه الصدور. ومن أهم التحديات، تحدي العدو الأول للإسلام في طور نشأته في مراحله الأولى، حيث أخبر القرآن علنا أن أبا لهب لن يسلم ومآله جهنم، وبقي هذا التحدي قائما عشرة سنين، كان بإمكانه أن يهدم هذا الدين من أساسه ويسحقه إذا أسلم. ليثبت بذلك عدم صحة مصدره وكذب القرآن. لكن أبا لهب لم يفعل ذلك. لعلم الله الأزلي بعدم إسلام أبا لهب، فإن الله هو القاهر فوق عباده والحافظ لدينه. وكذلك الوليد بن المغيرة فقد توعده الله في القرآن وأخبرنا أنه لن يسلم.

بل قد كان في القرآن جرأة في نقد الخصوم لا يمكن لبشر مهما امتلك من القوة أن يصرح بها أو أن ينطق بما نطق به القرآن، فنجد في آياته خطابا فيه هيبة ولا يمكن لبشر أن ينطق به ويتوعد الناس بتلك الطريقة إلا إذا خالقهم العالم بظاهرهم وباطنهم ولا تخفى عليه خافية. وبالوقت وبتقدم الدراسات الاجتماعية والنفسية تبين لنا كيف أن القرآن سابق لعصره وأنه لا يمكن أن يكون إلا كتاب الله عز وجل، بلا شك أو ريب.

القرآن يعلمنا الكثير من الدعاوى السامية التي كانت مفقودة في تلك العصور، بل مازالت نادرة لحد هذا اليوم بالرغم من تشدق الكثيرين وادعاؤهم هذه الصفات، لكنها في ظاهرهم وليست في باطنهم، مجرد أقاويل ومظاهر خداعة

[1] سورة البقرة 109

مصطنعة، وخير دليل جرائم القوى الاستعمارية في الدول العربية والإفريقية ليومنا هذا.

القرآن علمنا كيف تكون هذه الأخلاق والصفات جزء منا وليس مجرد أفعال أو أقوال. بل علمنا كيف نكتسب هذه الصفات وكيف تصبح واقعا في حياتنا بل تصبح جزءا لا يمكن الاستغناء عنه في الطبع والأقوال والأفعال دون تصنع.

ومن هذه الصفات والمعاني، وهذه المبادئ:

الإحسان:

{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [1]

البشاشة والوداعة:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [2]

النظافة:

{ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [3]

---

[1] سورة البقرة 112
[2] سورة الروم 21
[3] سورة التوبة 108

المسارعة في فعل الخير:

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [1]

دفع السيئة بالحسنة:

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [2]

العفو عن الناس:

{ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا } [3]

الصدق:

{قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [4]

السلام:

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [5]

---

[1] سورة البقرة 148
[2] سورة فصلت 34
[3] سورة النساء 149
[4] سورة المائدة 119
[5] سورة الأنفال 61

التعاون والإيخاء:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [1]

الاستقامة:

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [2]

الوفاء بالعهد:

{ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [3]

الجمعة 12 رمضان 1440 الموافق لـ 17 ماي 2019

[1] سورة الحجرات 13
[2] سورة هود 112
[3] سورة آل عمران 76

السنة

السنة، هي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن. كما أن السنة حُفظت بنفس طريقة حفظ القرآن، أي بالحفظ في الصدور والنقل المتواتر بالسند المتصل. والسنة هي كل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو أقره. فتكون السنة قولية أو فعلية أو تقريرية.

السنة القولية، هي كل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بدأت كتابة أقواله منذ حياته، حيث منع أصحابه في بداية الإسلام عن الكتابة، خوفا من اختلاط أقواله بآيات القرآن الكريم، وهو من باب اتخاذ الأسباب، ولما رسخ القرآن في قلوبهم ثم سمح لهم بكتابة أقواله، أي بكتابة السنة بإجمال، وتناقلها فيما بينهم.

السنة الفعلية، هي كل أفعال النبي صلى الله عليه وسلم التي يتبعه فيها المسلمون، وأهم الأفعال هي طريقة تأدية الصلاة. فطريقة تأدية الصلاة لم يذكرها الله في القرآن الكريم، ولكن أوحى الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق أمين الوحي سيدنا جبريل بطريقة تأديتها. وهذا يُعد من الأدلة على أن السنة مصدر التشريع، بل هي تفسير القرآن وبيانه وبيان أحكام الإسلام.

السنة التقريرية هي ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم، أي أنه لم ينكر على أصحابه فعل معين، كأكل سيدنا خالد بن الوليد للحم الضب رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفضه وقال بأنه يعافه. فعدم منعه له يعني إقراره بالفعل، وهذا الإقرار

هو من ضمن السنة. كما أقر الصحابة رضوان الله عليهم لما اختلفوا في فهم أمر النبي "لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة" وهو دليل على أن اختلاف الأفهام والأوامر في العبادات والمعاملات أمر لا يعني الخروج من الدين.

والسنة بالمعنى العام هي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته وسريرته، أي بالتشبه به في المظهر العام والاعتقاد والبواطن القلبية، كالتبسم الدائم، فتبسمك في وجه أخيك صدقة أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب الخير للناس والرأفة بهم، واللباس، فقد كان يحب اللباس الأبيض، وهو دليل على نظافة لباسه وحسن هندامه، وكان أحب الباس إليه القميص، وهو اللباس الواسع الفضفاض المحترم، وهو لباس قيم ومخالف للباس عديمي المروءة والأخلاق.

وبما أن الإنسان دائما ما يسعى إلى تقليد العظماء، وصنع قدوة له من هؤلاء، ويسعى جاهدا ليصبح مثل فلان أو فلان، فقد أمرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من البداية باتباعه، وعلمنا أنه من كمال الإيمان أن نحبه أكثر من أنفسنا حتى.

وقد يستغرب السامع لمثل هذا الطلب العجيب، ولكنه في حقيقته إعجاز، ودليل على أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، لذلك اتهمه الكثير بأنه ساحر، كما اتهمه المخالفين له والحاقدين عليه بأنه مدعوم بأرواح شريرة، وهو قول ساذج يدل على ضعف حجة المخالف والكبر ورفض الحق بعد أن تبين له.

فالإنسان عندما يتخذ من شخص ما قدوة، فانه سيبذل كل ما في وسعه لإتباعه، وإن كان هذا الشخص حيا، فقد يبذل نفسه من أجله، كالموت في سبيل أن يحيى هو، سواء من باب أنه اقتنع بدعواه ويجب أن يواصل ذلك، أو من باب أن

يقترن اسمه باسم من يحب ويخلد معه. وهذا كشفته لنا الدراسات النفسية الحديثة ولم يكن معلوما في تلك العصور وهو من الإعجاز.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أمرنا بإتباعه والسير على خطاه، ليس من أجل متاع قليل، أو مجرد تخليد اسم أو إطراء من الناس، بل هو وعد عظيم، لن يقدمه لك أي شخص، مهما علا شأنه، ومهما كانت قوته أو نفوذه، ومهما بلغت شهرته...

إتباع السنة، هو مفتاح من مفاتيح الجنة، فالنبي صلى الله عليه وسلم وعدنا بأن من يحبه سيكون معه في الجنة، ومن أحيا سنته سيكون معه في الجنة أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن يقدر على إعطاء هذا الوعد، ومن يصدق مثل هذا الوعد؟ فالجنة هي الحياة الأبدية في نعيم أبدي بعد الموت، وبعد الحساب، فمن كان مسلما مؤمنا دخل الجنة، ومن لم يؤمن بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته دخل النار خالدا فيها. فمن يقدر على إعطاء وعد الحياة الأبدية بهذه الطريقة، وكيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم التأثير على الناس بهذا الوعد.

إن صدق رسول الإسلام معلوم، ولم يشك فيه أحد من مخالفيه، فقد عُرف قبل الرسالة بالصادق الأمين. ومن ادلة صدقه، صدق سنته، أقواله ووعوده، فكم من تنبؤ تنبأ به وتم، بل كم من تنبؤ لم يتم؟

لقد كانت كل نبواته حقيقة، سواء ما كان في القرآن الكريم، أو ما كان من حديثه صلى الله عليه وسلم، ودليل صدقه أن السنة النبوية الشريفة باقية إلى يومنا هذا، صامدة أمام محاولات التحريف وإدخال ما ليس فيها، بل بقيت صامدة

أمام من حاول جاهدا محاربتها والتشكيك فيها، كأدعياء الدين البهائي أو القادياني. فغياب السنة يعني غياب التفسير الصحيح للقرآن، فقد كانت سنته ترجمان لمعاني القرآن وآياته، والمعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قرآنا يمشي، فكل فعل أو قول هو من القرآن، فهو الحق، وهو الشرع، بقوله وفعله وإقراره.

وحفظ الحديث من الخلط والتحريف، ألهم الله عباده الصادقين بعلوم وطرق تحفظه، وهي تسمى علوم مصطلح الحديث. فهي علوم تهتم بدراسة متن الحديث أي نصه، واكتشاف العلة فيه إن وجدت، والحكم على نص هذا الحديث إذا كان من الشرع أم لا.

ومن العلوم أيضا، علم تراجم الرجال، وهو علم يهتم برواة الحديث وناقليه، بحسب طبقاتهم، أي الزمان الذي عاشوا فيه، ودراسة سيرهم، ومعرفة شيوخهم، والاطلاع على ما قيل فيهم. فهذا العلم يدرس حياة كل راو للحديث درسا مفصلا، ليعرف مدى عدالته، ومدى ضبطه ونسبة حفظه للحديث الشريف، سواء حفظ الصدور، أو حفظ هذا الحديث من جهة الاحترام له والتعظيم له لمكانته ومكانة قائله الرفيعة، سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

والحكم على رواة الحديث يسمى بعلم الجرح والتعديل، وهو الحكم على الراوي بالضعف أو الصحة، وبالتالي فان الأحاديث محمية من إدخال ما ليس منها من النصوص. ولذلك ينقسم الحديث إلى عدة أقسام، أصحها وأكثر اعتمادا في التشريع هو الصحيح، ثم الحسن، ثم الضعيف يعمل به في مكارم الأخلاق، وأخيرا المكذوب وهو مردود قطعا. وتنقسم هذه الأقسام إلى أقسام أخرى، فقد يكون الصحيح متواترا أو آحادا، فالمتواتر هو ما نقله الجمع الغفير عن الجمع الغفير وصولا

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآحاد من كان في إحدى طبقات الرواة عدد قليل من الرواة دون الثلاثة. ولا يعتمد هذا النوع رغم صحته في باب العقائد.

وكما رأينا فقد بذل علماء المسلمين وأئمتهم، جهدا كبيرا في حفظ السنة وحمايتها من كل إضافة ليست منها، حرصا منهم على سلامة دينهم من التحريف كما حدث للأديان الأخرى. وبالتالي بقي المنهج الحق ثابتا، واضحا لا غبار عليه، وكل من أراد التحريف، أو إدخال في الدين ما ليس فيه وجده نفسه شاذا عن إجماع أمة اتفقت على أساس جلي واضح للعيان مقبول للعقول محفوظ في القلوب والصدور.

السبت 13 رمضان 1440 الموافق لـ 18 ماي 2019

الدعوة الإسلامية

نشر الإسلام، أو تبليغه، أو التعريف به، كل هذا يندرج ضمن إطار الدعوة الإسلامية. والدعوة الإسلامية فرض واجب على كل مسلم. كذلك طريقة الدعوة الإسلامية يجب أن تكون بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة. ولا تكون الدعوة بجهل بالدين بل يجب أن تكون بعلم، ولو علم قليل.

العلم والدعوة فرضان مكملان لبعضهما البعض في الإسلام، فلا دعوة بلا علم، ولا علم بلا أخلاق، ولا دعوة بلا أخلاق. فهي سلسلة مترابطة. لذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب للصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين: "كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون" ولما سئل كيف ذلك، قال: "بأخلاقكم"

ومن هنا نستنتج أن الدعوة للإسلام لا تكون بمجرد القول، بل بالأفعال أيضا. وذلك بإتباع أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، بدفعه للسيئة بالحسنة، والحلم والعفو والرحمة، كانت كغيرها من صفات الكمال، سببا في اعتناق الكثيرين للإسلام، لما عرفوه من مبادئ سامية.

يرى الكثير من أعداء الإسلام أن هذا الدين انتشر بحد السيف، أي أن المسلمين قديما فرضوا على الناس الإسلام. فهم بنظرهم أهل حرب، احتلوا الأوطان، وفرضوا الإسلام على أهله. طيب لنتمعن جيدا ونحلل هذا القول ولنسأل ببراءة، إذا تم فرض الإسلام على المخالفين فلماذا إذن يدفعون الجزية؟ فالجزية معلوم حماية

يدفعها الذمي، أي من كان من أهل الكتاب، كاليهود والنصارى، وتسقط عن المرأة والطفل والشيخ، ومن تطوع في جيش المسلمين.

ونرى كمثال إسلام الكثير من الدول في آسيا، وأهمها الهند، وقصة إسلام أهل الهند من أكثر القصص شهرة، وهي أنهم أسلموا بعد أن اختلطوا بالتجار المسلمين، وعرفوا أمانتهم وصدقهم، فقد كان هؤلاء المسلمين يطبقون الدين كما هو، يخافون الله في تجارتهم. فتأمل كيف أن الالتزام بأحكام الدين هو في حد ذاته دعوة إلى الله، وخاصة لما يكون هذا الالتزام في المعاملات.

وفقه المعاملات هو من أبواب فقه العبادات في الدين. ويندرج تحت هذا المسمى، التجارة والحرف وكل ما يخص معاملة الناس لبعضهم البعض. والإسلام ينص على أن معاملة المسلم كمعاملة غير المسلم، فلا تتغير الأحكام إلا في حالة الحرب ومع الجنود المحاربين فقط.

ونرى أثر الدعوة الإسلامية اليوم في أروبا، كيف ينتشر هذا الإسلام، في بلاد الإلحاد والنصرانية، البلاد التي لطالما صدع مشاهيرها ورجال دينها بأن الإسلام إرهاب، وأنه انتشر بالسيف. في هذا البلاد يقوم الإعلام بالتشويه الدائم عن طريق برامج ممولة من جهات معينة، تتوقف مصالحها إذا انتشر الإسلام في بلادهم كشركات الخمور ودور السينما وتجار الجنس وتجار المخدرات والميسر وكل ما حرم الله.

فاذا سألنا كيف انتشرت النصرانية؟ أجيب أنها انتشرت بالقهر والظلم ومازالت تنتشر بالكذب والخداع. قديما أجبرت الحكومات النصرانية كل الشعوب التي

احتلوا بلادها وأحرقوها ودمروا معابدها، على اتباع الكنيسة التي غزتهم، حتى وإن كانوا مسيحيين مثلهم، وأنشأت لذلك محاكم التفتيش، التي تحاكم كل مخالف للكنيسة بشتى أنواع التعذيب. ومازالت أدوات التعذيب موجودة لحد الساعة في متاحفهم.

أما اليوم فانتشارها كما ذكرت قائم على الغش والخداع. فهل سمعت يوما نصرانيا يقول لك أن المسيح هو الرب تجسد ومات على الصليب ليخلصنا من خطايانا؟ طبعا لن يقول هذا مباشرة، بل سيشكك بإيمانك ودينك، وسيسب ويشتم ويطرح شبهات كاذبة لا حصر لها وأدلة لا وجود لها وافتراءات لا تمت للواقع بصلة. والقصد من ذلك إخراجك من دينك.

فإذا تمكن هذا الأخير من إخراجك من دينك فقد استطاع أن يخرجك من سربك، فصرت هائما، يمكنه الانقضاض عليك والنيل منك وتمرير كل ما يرغب فيه من عقائد. وبما أن الدين ضرورة حتمية ستجد نفسك مؤمنا بما يدعوك له خاصة وأنه ولّد في قلبك نقمة على دينك. ويتم ذلك باستغلال الجهل بالدين في صفوف الكثيرين من العرب اليوم.

مازلت أذكر ذلك الفيديو الذي أراني إياه أحد المبشرين المسيحيين، في إطار دعوتي لدينهم، وهو عبارة عن مطبعة خاصة لكتبهم ونشراتهم الدورية، هذه المطبعة فريدة من نوعها وتعتبر الثانية في العالم في ذلك الوقت من حيث التكنولوجيا المستعملة في الطباعة. كما أن هذه المطبوعات ملونة بأجمل الألوان ويتم استعمال أفضل أنواع الورق والحبر.

نظر إليا هذا المبشر بعد انتهاء مقطع الفيديو بكل دهاء وقال لي: "ألا ترى أن هذا العمل يسير بمباركة الرب" فأجبته: "لو كان للمسلمين هذه الأموال والتقنيات لأسلمت كل الأرض".

فالدعوة الإسلامية تفتقر للكثير من الدعم المادي، فالإسلام هو الدين الأكثر تشويها ومحاربة ومقاومة من كل الأديان الأخرى والجمعيات والمنظمات العلمانية. ورغم ذلك هو الأكثر انتشارا. وأغلب المعتنقين ممن كانت مستوياتهم العلمية رفيعة، وأغلبهم من البلاد الغربية المتقدمة علميا وتقنيا.

السبب أن الإسلام بدأ بالتوحيد، وأن دعوته دعوة إلى توحيد الخالق، دون تشبيه أو تمثيل أو تجسيم، وهذا أمر وإن عرفناه بالعقل، فقد أكده العلم الحديث. الدعوة إلى الإسلام تقوم على أدلة واضحة وحجج بينة. فلا إلقاء شبهات أو تشكيك. فخطاب الداعية إلى الله: "يا أيها الناس اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا".

الدعوة الإسلامية، دعوة إلى دين يخاطب العقل والقلب. لا تكون بسيف، أو بقوة، أو بعنف مهما كان نوعه. كما أن الدعوة للإسلام دعوة إلى الحق، لا تتم إلا بالحق، فلا كذب أو مداهنة فيها. كما أن الإسلام لا اعتبار فيه لجنس أو عرق أو لون أو ما شابه ذلك.

والدعوة الإسلامية ليست دعوة لغير المسلمين فقط، فهي دعوة عامة لكل إنسان على الأرض، من المسلمين وغيرهم، فهي دعوة إلى الإسلام ودعوة في الإسلام، دعوة إلى الدين، ودعوة للالتزام بأحكام الدين. هي تعليم للجاهل بأحكام دينه، وللمتنطع بآداب المعاملة، وللعاصي بترك المعصية، ولتارك الصلاة بالالتزام بالصلاة.

الدعوة الى الحق تكون بالحق، والحق هو الصدق. لذلك الدعوة إلى الإسلام هي دعوة للحق، ووجوبها من باب الرحمة بالخلق أجمعين، لإيصال الرسالة الحق، الدين الذي يسعدهم في الدنيا ويسعدهم في الآخرة. هذا الدين الذي يحررهم من عبادة الشهوات، ويهديهم إلى عبادة الله الأحد.

شروطها العلم اليسير بالدين، الذي يسمح بتبليغ رسالة الإسلام، وهو ما يجب على كل مسلم تعلمه. وحسن الخلق، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وهكذا ستخاطب العقول والقلوب. دين الواقع، الأقرب للمنطق، الأكثر انتشارا، بلا سيف، وبلا حرب، وبلا تشويه، ودون صرف ملايين الدولارات... هي كلمات بسيطة، كلمات حق، تهديك للدين الحق... هو الإسلام العظيم.

الأحد 14 رمضان 1440 الموافق لـ 19 ماي 2019

المذاهب الفقهية

قبل السؤال عن المذاهب الفقهية، يجب أن نسأل أولا ماذا يعني مذهب، وماذا يعني فقه. المذهب هو السبيل أو المنهج، وهو ما ذهب إليه الناس لاتباعه. والفقه هو العلم بالشيء ومعرفته، وهو علم فروع الدين أو علم العبادات على العموم. والمذهب الفقهي هو طريقة العبادات بحسب فهم الإمام المجتهد للنصوص.

والعبادات في الشريعة الإسلامية، هي فرع الدين، والأصل في الدين هو العقيدة. ولا يعني ذلك إهمالها، بل هي أمر مهم جدا، يتمثل في أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج. وجميعها أساسيات، إنكارها يعني إنكار الدين بالكلية. وإنما سميت فروع لأن الأصل هو شهادة أنّ لا إله الا الله محمد رسول الله.

المذاهب هي فهم لنصوص الشريعة والترجيح بينها والحكم بها. وقد بدأت المذاهب الفقهية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان يبعث صحابته الكرام لتعليم المسلمين في القبائل العربية دينهم. والقصة المشهورة التي وردت في الحديث النبوي الشريف[1]:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ

[1] سنن ابي داوود تحت رقم 3172

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ

وهذا دليل واضح على أن استخراج الأحكام والاجتهاد فيها بدأ منذ عصر النبوة، فالمذاهب الفقهية هي امتداد لمذاهب الصحابة وبعد ذلك ظهرت بعض مذاهب الصحابة، منها مذهب ابن مسعود وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما في العراق، ومذهب ابن عباس وأصحابه رضي الله عنهم في مكة. وبتناقل العلوم والنصوص الشرعية جيلا بعد جيل، ظهرت الكثير من المذاهب الفقهية والاجتهادات، قاربت المئة مذهب، منها مذهب الإمام البخاري، وهو ما جمعه في كتابه من أحاديث كما فعل الإمام مالك، وأيضا مذهب الليث بن سعد الذي يقال أنه أعلم من مالك لكن تلاميذه ضيعوه.

والمذاهب الفقهية التي بين يدينا يوما، لم تظهر بعشوائية، أو بحفظ أصحابها لبعض الأحاديث. فالإمام أحمد بن حنبل كمثال كان يحفظ ألف ألف حديث، أي مليون حديث سندا ومتنا. والأحكام الفقهية في المذاهب ليست مجرد أحكام عادية متعلقة بوضوء وصلاة وبضع مسائل، بل هو يهتم بكل مسائل العبادات، من فراش الزوجية إلى العلاقات الدولية.

الاختلافات بين المذاهب هي مسائل فرعية، فلا تجد مثلا من يصلي بصورة تخالف صورة المذهب الآخر، أو يسمي الزكاة بغير اسمها، أو يحلل ما ثبت تحريمه كالربا مثلا. ولكن اختلاف الأفهام والأعراف يقضي ببعض الاختلافات في فروع الفروع، وهو الأمر الذي يجعل هذا الدين مرنا وصالحا لكل زمان ومكان.

فإذا ما سمعنا لفظ اختلاف، فهو يعني أن هناك مسألة يمكن فهمها بأكثر من فهم، مثلما اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في تطبيق أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة وأقرهم على ذلك.

وقد نجد أن هناك مذهبا قد تطرق لمسائل كثيرة لم يتطرق إليها مذهب آخر، ومن بين المسائل التي تكلم فيها أبو حنيفة وأفتى فيها وأقرها في مذهب، على سبيل المثال، المسائل المتعلقة بالعمليات الجراحية التي لم تكن تجرى في عصره. كثقب العنق للشرب والتنفس، أو ثقب جنب المريض للغائط ونحوه من المسائل المعقدة التي وضع لها أحكاما.

ولوضع هذه الاحكام، كان ولابد أن يصل الإمام إلى درجة الاجتهاد المطلق، وهي أعلى مرتبة في العلم بالفقه. ولبلوغ هذه المرتبة، لابد وأن يكون الإمام عالما بعلم اللغة العربية، وعلوم مصطلح الحديث، وعلوم القرآن، والناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والمحكم والمتشابه وكل علم يتعلق بالقرآن والحديث دون استثناء. ليستطيع استخراج الأحكام الصحيحة، دون تعارضها مع نص آخر، ودون خروجها عن معناها الأصلي، كما أن فهم العبارات والمصطلحات يعتمد على فهم عميق للغة العربية وعلومها ومعاني كلماتها.

وقد أقر الأئمة أصولا، تسمى أصول الفقه. وهذه الأصول هي القواعد التي يتم استخراج الأحكام بها، عرفها من بعدهم تلامذتهم بعد استقراء منهجهم في الاستنباط. مثال أقر الشافعي سبعة عشر أصلا، بينما أقرّ مالك ستة عشر وهي[1]:

[1] من كتاب إيصال السالك في أصول الامام مالك طبعة جمعية احياء التراث الزيتوني

1. النص من الكتاب والسنة الصحيحة
2. الظاهر من الكتاب أو السنة الصحيحة
3. دليل الخطاب من الكتاب والسنة وهو مفهوم المخالفة
4. تنبيه الخطاب من القرآن وتنبيه الخطاب من السنة ويسمى بفحوى الخطاب وهو مفهوم الموافقة
5. مفهوم الكتاب والسنة
6. التنبيه أي دلالة التنبيه من الكتاب والسنة وتسمى بدلالة الإيماء
7. الإجماع
8. القياس الشرعي
9. عمل مدينة النبي
10. القول المروي عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم
11. الاستحسان
12. سد أبواب الوسائل إلى الفساد
13. الاستصحاب
14. الخبر، أي الحديث والفعل والتقرير الذي رواه واحد
15. المصالح المرسلة، أي المطلقة من الاعتبار والالغاء

16. رعي الخلف أي مراعات الخلاف

بعد النظر في هذه الأصول، وطريقة إقرار المذاهب، يتوضح لنا أن استخراج الأحكام ليس بالأمر الهين، وليس بالأمر المتاح لكل الناس. وكل إمام من الأئمة اجتهد، واستخرج الأحكام من الكتاب والسنة، وهو ما دل عليه الستة أصول الأولى، ثم الإجماع. في حين أن الإجماع يعتبر الأصل الثالث في الحكم بعد القرآن والسنة. والإجماع هو إجماع أئمة المسلمين والتابعين والصحابة على حكم أو فعل أو قول.

وأما من يدعي أنه يأخذ الأحكام من السنة، فيجب عليه أن يقدم الدليل على صحة اجتهاده أولا وعدم تعارض حكمه مع نص واضح. فالمذاهب وكما رأينا هي فهم للكتاب والسنة بطريقة المجتهد، فيعتمد أساسا على النص الصريح، فإن لم يجد يعتمد الظاهر من النص، فإن لم يجد يعتمد دليل المخالفة أي خلاف الأولى، وإن لم يجد يعتمد على تنبيه الخطاب الذي يسمى مفهوم الموافقة، وإن لم يجد يعتمد على تنبيه الكتاب والسنة، وإن لم يجد يعتمد على دلالة التنبيه من الكتاب والسنة. بعد كل هذا يحتكم للإجماع فإن لم يجد يحتكم للأصل الذي يليه وهكذا.

إذن، وباختصار، المذهب الفقهي، هو فهم الإمام للنص، أي الكتاب والسنة، واجتهاده في استخراج الحكم، اعتمادا على علمه بالدين، وخاصة أن الأئمة المجتهدين عاشوا ما بين القرن الأول والقرن الثاني للهجرة، فقد كانوا الأقرب زمنيا لعهد النبوة، وأخذوا علومهم عن التابعين. فهم سلف هذه الأمة الذين كانوا حديثي عهد بزمن النبي صلى الله عليه وسلم وبلغة العرب الأقحاح. فيهمون لفظ الحديث أو الآية دون حاجة لتفسير أو تبيين.

ثم إن اتباع مذهب معين، هو أمر من الله لكل مقلد لا علم له بكل هذه العلوم ويصعب عليه استخراجه، وهو ما دل عليه قوله في القرآن الكريم:

{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [1]

فتقليد المذهب من باب التيسير. ويصير محرما على من علم الدليل اليقيني على حكم معين. فيحرم عليه التقليد لذلك الحكم.

كما أن اتباع المذاهب الفقهية هو من الأمور التنظيمية في الإسلام، فتكون طريقة الصلاة والوضوء وجميع العبادات والمعاملات بصورة واحدة عند جميع الناس، وهو من باب تآلف القلوب ووحدتها وتحابب وتوافق ووحدة المسلمين بصفة عامة.

الاثنين 15 رمضان 1440 الموافق لـ 20 ماي 2019

[1] النحل 43

المدارس العقائدية

المدارس العقائدية هي مدارس أصول الدين، وهي المنهج المتبع في استنباط الدليل، أو معرفة الدليل على وجود الله أولا، وعلى صدق رسول الله ثانيا، وبالتالي، يكون إيماننا بالله سبحانه وتعالى وبسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبني على دليل، ويكون بيقين تام، ويكون اجتهادا لا تقليدا.

علم العقيدة، ويسمى أيضا علم أصول الدين، هو علم يهتم بالإيمان، يهتم بالعقد الذي بين العبد وربه، عن طريق إيجاد الدليل، واعتماده للإيمان والتصديق بما أنزل وبما دعا إليه الرسل والأنبياء من دين وتعاليم بعد معرفة الدليل عليه تصديقا جازما.

وككل الأديان، ينقسم المسلمون إلى عديد الفرق، ويختلفوا في كثير المسائل، لكن ما يميز المسلمين على باقي الأديان اتفاقهم في الأصول الكبرى للإيمان، ولكن الاختلاف في فروع أخرى لا يخرج معتقدها من الإسلام، فالاختلاف هو اختلاف في فهم النصوص ليس إلا.

والمدارس العقائدية، هي المدارس التي درست الدليل، وحفظت العقيدة الإسلامية من التزوير والتحريف، بوضع ضوابط للعقل وأحكام مبنية على أساسات علمية صحيحة، والموازنة بين العلم والعقل والنص القرآن وصحيح نص الحديث النبوي الشريف. كما أن المدارس العقائدية باقية منذ أزمنة نشأتها وهي العصور الأولى

للإسلام، وكتبها لم تتغير، بل كلما تقدم الزمان زادنا ما فيها من دهشة لموافقتها للعلوم الحديثة التي باتت تحت ضل الاكتشافات الجديدة تثبت وجود الله كما بينا في الصفحات الأولى.

وهذه المدارس، لم تؤسس عن طريق الصدفة، بل كان تأسيسها لدراسة الدليل العقلي والنقلي، ونقصد بالنقلي ما تناقله علماء المسلمون من نصوص صحيحة صريحة من الحديث والقرآن الكريم، وردهم لشبهات وأكاذيب المخالفين، ومن أهم الفرق التي كان للمدارس العقائدية دور في دحض شبههم المعتزلة والفلاسفة.

تنقسم المدارس العقائدية في الإسلام إلى ثلاث مدارس، الأشعرية والماتريدية والأثرية أو كما يسميها البعض السلفية. وليست تلك السلفية التي نعرفها اليوم وسأبين ذلك في الفقرات القادمة ان شاء الله.

المدرسة الأشعرية هي المدرسة التي أسسها الامام أبو الحسن الأشعري، وقد كان من أئمة المعتزلة في زمانه، فدرس الدليل العقلي وتعمق فيه بالتوازي مع دليل القرآن والسنة، فخرج بأدلة مبنية على اليقين، فصار يجابه المعتزلة ويبحث عنهم لمناظرتهم وإثبات زيغهم وضلالهم.

والمدرسة الأشعرية هي مدرسة العقل، أساسها أحكام العقل وضوابطه، واعتمادها لهذا الدليل لإثبات وجود الله، وصفاته، وتنزيهه عن المخلوقات، وإثبات صحة القرآن وما جاء فيه بالدليل، وإثبات صدق النبوة وحقيقة الرسالة، وأركان الإيمان بالتفصيل اعتمادا على حجج عقلية ونقلية.

والمدرسة الثانية هي مدرسة أبو منصور الماتريدي، وقد وافق زمن ظهورها نفس فترة ظهور المدرسة الأشعرية، ولكن الغريب أنهما ظهرا في مكانين مختلفين، ولم يتقابل الإمامان أبدا. وتوافق المدرسيتين في الأحكام واستخراج الدليل وإثباته يكاد يكون نفسه، ما عدى بعض الاختلافات وبعض التعابير المختلفة لمعاني بعض الأشياء. وقد كانت لهذه المدرسة أيضا دور كبير في القضاء على المعتزلة لا يقل عن دور المدرسة الأشعرية في ذلك.

وتوافق هاتين المدرستين في الأحكام والضوابط والدليل، وفي كيفية اعتماد هذه العلوم العقلية وتوظيفها، وصقلها لتكون موافقة للعقل حقيقة، هو دليل قطعي على أن المدرستين على طريق الحق. فقد تعمد المعتزلة في ذلك الوقت ترجمة كتب الفلاسفة، التي كانت تهتم بالبحث عن الوجود، وكتب المنطق، ووظفوها بالخطأ في العقيدة الإسلامية. ولكن الإسلام دين الفطرة، وصقل هذه العلوم باعتماد أساسيات العقيدة الإسلامية ينتج لنا هذا العلم، الذي يسمى علم الكلام.

وتسميته بهذه التسمية، ليس دليلا على أن علماء العقيدة كثيري الكلام كما يعتقد البعض من الجهلة، وليس دليلا ان هذا العلم هو علم يعلم طريقة الكلام، بل هذه ظنون الجهلة والمخالفين الذي تعصبوا دون أن يتعلموا.

مما يقال في أصل تسميته بهذا الاسم، لأن أكثر المسائل التي خاض فيها وناقشها وأثبتها هي مسألة كلام الله. فقد ادعى المعتزلة أن القرآن مخلوق. ولكن القرآن في حقيقة الأمر هو كلام الله. فذهب المعتزلة إلى أن كلام الله حادث. في حين أن كلام الله أزلي، والقرآن هو كلام الله، والكلام صفة متعلقة بذات الله جل وعلا

لذلك فكلام الله أزلي. وأزليته ليست كذات بل كصفة، وهذه من تفاصيل العقيدة التي تدرس في كتب الاختصاص.

وسار أئمة العقيدة في شرح الدليل وتوضيحه اعتمادا على النص الصريح والأحكام العقلية، لتبيين أن الكلام صفة متعلقة بالذات، أزلية بحكم تعلقها بالذات الأزلية، وأن خلق القرآن يعني أن القرآن حادث، وهو ما يدل أن له بداية ونهاية، وبالتالي لا يمكن أن يتعلق بذات المولى عز وجل، وهذا هو الدليل الإجمالي، وليس المجال لذكر الدليل التفصيلي.

وبالتالي، نشأت هاتين المدرستين القائمتين لزماننا هذا. ويعتبر المنهج والعلم الذي ندرسه في هذه المدارس الدليل القطعي على إثبات وجود الله، وصفاته وصدق رسالة الإسلام. وهذه الأدلة هي الأدلة اليقينية، والأدلة التي تجابه أي ملحد أو منكر لوجود الله، وكل جاحد مكذب بصدق رسالة الإسلام. بهذه العلوم، تقيم الحجة، بدليل العقل وحده. وبهذه الطريقة، نتيقن حقيقة هذا المنهج، وصحته، وذلك أن الدين والنبي صلى الله عليه وسلم، خاطب أناس لا يؤمنون بالله، أو يؤمنون به حسب أهوائهم، أو منكرون للدين. أو بعضهم منكر لفكرة الدين، ولا يمكنه قبول هذه الفكرة إلا إذا كان الدليل من خارج الدين، وهو العلم والعقل. وهو المنهج الذي اتبعه الأئمة ومازلنا نتبعه في دعوة غير المسلمين وإثبات حقيقة الإسلام.

أما المدرسة الأثرية، أو المدرسة الأثرية، أو كما سميت قديما السلفية، فهي مدرسة الحديث، دليلها الحديث، لا تخوض في علوم العقل وعلم الكلام عامة، بل يؤمنون بما جاء في القرآن والحديث دون البحث عن عمق معانيه، لكن دون وصف ذات الله بالنقص، أو التشبيه أو التمثيل، وهو ما يسمى بمنهج التفويض.

أي بالإيمان بما أنزل الله دون نقاش، ودون بحث عن الكيف، وهل النص قابل للتأويل أو يؤخذ بالظاهر.

وهذا المنهج هو منهج الامام أحمد بن حنبل في الأساس، وهو منهج بعيد عن الجدل والنقاش وإقامة الدليل لغير المسلمين. فالدليل هو ما جاء به القرآن من إعجاز بين في ذات الكتاب والعمل بالنص كما هو والتسليم له.

لكن، تم تحريف هذا المنهج، وصار التفويض تشبيها وتمثيلا، وهذا ما نراه بينا في كتب السلفية المعاصرة. فقد بدأ تحريف هذا المنهج من عصر الإمام أحمد، وأول المحرفين ابن كرام، ثم ابن تيمية، الذي أستتيب وسجن وحرقت كتبه، ثم أحياها مجددا محمد ابن عبد الوهاب بمعية الاحتلال البريطاني، ليبقى ليومنا هذا.

وترتبط المدارس العقائدية بالمذاهب الفقهية ارتباطا نسبيا، فالأثرية هم في الأصل فضلاء الحنابلة، ممن بقوا على مذهب الامام أحمد دون تحريف أو تزوير. والماتريدية هم أتباع المذهب الحنفي، والإمام أبو حنيفة كان معروفا بأنه من أئمة الرأي، أي اعتماد العقل والاجتهاد، طبعا بدليل ليس اجتهادا مطلقا بلا قيد. أما الأشاعرة فهم إما من المالكية أو من الشافعية، مع العلم أن الإمام الأشعري كان شافعي المذهب.

أساس العقيدة هو لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولتبيين وإثبات هذه الحقيقة فعليا، اجتهد العلماء بالبحث عن الدليل وتأسيس العلوم، فصارت دليلا ثابتا على حقيقتها والإيمان بها بيقين تام.

الثلاثاء 16 رمضان 1440 الموافق لـ 21 ماي 2019

العدل والظلم في الإسلام

هل الإسلام عادل أم ظالم؟ بعبارة أخرى، بما أن الإسلام دين التوحيد الخالص، وهو دين الله، رغم أننا مازلنا نستعرض الحجج والتعاريف ونطمس الشبهات، إلا أن هذا بين في بقية عقائد الأديان الأخرى. إذن فالسؤال هل الله عادل أو ظالم؟ ولكن ما هو الظلم؟ الظلم هو التصرف في ملك الغير دون إذنه، وكل الكون ملك الله سبحانه وتعالى، فلا يوجد ظلم، هذا من وجه.

ومن وجه آخر لمن لا يسلم بحقيقة الظلم وتعريفه، إذا كان الله عادلا، فيجب أن يعطينا لنا دينا كله عدل، ولا مجال للظلم فيه، ولكن ما يشاع، أن الإسلام دين ظالم، انتشر بالسيف، يقتل المرتد عن دينه، يرجم الزاني، يقطع يد السارق، فكيف يكون عادلا؟

أول ما يجب معرفته، أن الإسلام لم ينتشر بالسيف أبدا، وقد بينا طريقة انتشاره. ونزيد التوضيح أكثر بخصوص حروب المسلمين، فقد أقام المسلمون الحجة، على أن الإسلام دين الله الواحد، فذهب رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعدهم رسل الخلفاء إلى الحكام، يدعونهم للإسلام، فإما الإسلام، أو الجزية مقابل الحماية العسكرية والدعوة الإسلامية في بلادهم وإما الحرب.

سنبدأ بالحرب أولا، فهذه الحكومات المتعنتة، تفرض على الشعوب قوانين وضعية جائرة، وتمنعهم من حريتهم الدينية، وأهما الإسلام، وما زلنا نعيش هذا

الوضع في كثير من الدول العربية والغربية، حيث أن اداء صلاة الصبح في المسجد في بعض الفترات كانت السبب في السجن بتهمة الانتماء لتنظيمات إرهابية أو متطرفة. ولكن إذا تدخلت أمريكا عسكريا لأجل الديمقراطية فلا بأس بذلك.

وحيث أن العديد من الحكومات تعذب المسلمين لاختيارهم دين الحق، كما الحال الآن في بورما، وعدد من دول العالم، فهذا ما يحدث اليوم في عصر يتشدق به الكثيرون بما يسمى حقوق الانسان، ولعلهم نسوا لفظ "الغربي" بين قوسين أو التخصيص بـ"غير المسلم" فسيكون ذلك أفضل وأقرب للواقع. كيف ستكون ردة فعل مُستأمن على دين تبين له أنه الحق بالدليل والحجة، هل سيبقى مكتوف الأيدي وهو قادر على التغيير وإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

طبعا سيحرك الجيوش والعتاد لتهديد هذه البلاد، وأمرهم بمنح الناس حقوقها الدينية، أليس هذا شبيها بما تقوم به بعض الدول العظمى، من احتلال للدول التي ترى أنها تخالف القوانين الدولية؟ وأي قوانين؟ هي قوانين وضعها البشر وليست قوانين الله. فما بالك بمن يحمل قانون الله مؤيدا به، بالدليل اليقيني دون أي شك أو ريب. وكيف ستكون ردة فعله إن رفض الطرف المقابل هذا الدليل ورفع السيف في وجوههم. طبعا سيتحرك هذا الجيش لإسقاط هذه الحكومة الظالمة، ليقيم حكومة عادلة بحق وليس لخدمة مصلحة جهة معينة.

ويشهد التاريخ، أن أقباط مصر استقبلوا المسلمين، وفرحوا بانتصارهم على الروم المسيحيين، أبناء دينهم. ولما أنشأت الدولة الإسلامية محاكم خاصة للمسيحيين تحكم بدينهم، كانوا يحتكمون لمحاكم المسلمين لأنهم على ثقة تامة بعدل المسلمين وظلم أبناء دينهم وجلدتهم. وهذا ثابت في تاريخ الإسلام في مصر وغيرها.

كما أن المسلمين لم يجبروا أحدا على اعتناق دينهم عنوة، والدليل هو حكم دفع الجزية الذي ذكرناه سابقا، فالحرية الدينية مضمونة، مع شرط أن يكون الدين كتابيا، وليس وثنيا من صنع البشر. والعجب كل العجب، لما أرى مسيحيين، سواء كانوا بالوراثة أو ارتدوا عن الإسلام وتنصروا، يقيمون بيننا في بلادنا، يتهمون كل المسلمين بالإرهاب، ويطالبون بحقهم في المجاهرة بالإفطار في شهر رمضان المعظم، وحرية الاعتداء على الدين الإسلامي ومقدساته.

أي وقاحة هذه، بل لا يمكن أن نقول أن هذه وقاحة، بل هي أكثر من ذلك بكثير، فكل شخص مهما كان دينه، يحترم الآخر، فهذا أقل ما يمكن أخلاقيا، لماذا تطلب المجاهرة بالإفطار في رمضان؟ ألا تحترم مشاعر الآخرين؟ فكثير من الأجانب يتجنبوا زيارة الدول العربية في رمضان من باب الأخلاق، كما أن البعض منهم في شهر رمضان، يحترموا مشاعر زملائهم في العمل. كما أن المسلم لابد وأن يحترم معتقداتهم وطقوسهم حتى وإن كانت مضحكة، ويبين موطن الخطأ فيها بأخلاق المسلم وباحترام دون استهزاء وتنفير كما يفعل أهل الضلال.

ثم إن الإسلام كدين، يحكم على المرتد، التارك لدين الإسلام بالقتل، أولا لأن اعتناق الإسلام لا يكون وراثة، أو بجهل، فالله يعبد بالعلم ولا يعبد بالجهل. واعتناق الإسلام يكون قرارا شخصيا، مبني على أدلة يقينية، لا تقليدا ولا مجاملة أو انقيادا لطلب شخص عزيز. أي أن يكون على يقين تام أنه الحق.

وبالتالي، وبعد أن تبين الحق من الباطل، فإن الارتداد عن الدين وإنكاره ليس مؤديا لهذا الحكم مباشرة، بل هو مؤدي إلى مرحلة الإستتابة، وهي مرحلة نقاش هذا الشخص، لماذا رفضت الإسلام بعد اعتناقه. وهذا الحكم في الأساس لغلق

الباب أمام كل منافق أو مندس، يدعي اعتناق الإسلام ثم يرتد عنه ليثير الفتنة بين صفوف المسلمين.

وهذه الاستتابة، هي مناظرة بين أهل العلم وهذا الشخص، يتم تبيين الحق فيها ومناقشة المرتد نقاشا عميقا مفصلا حول سبب الارتداد وما رآه من أن هذا الدين باطل. وبعد أن يتبين له الحق، بقي أمام أمرين، إما العودة لطريق الحق أو الموت، لأن حياته فيها خطر على باقي المسلمين مما سيبثه من سموم جراء تعصب شيطاني لا أساس له من الحق. فهو عالم منذ البداية وقبل اعتناقه للإسلام بشروطه.

أما الزاني، الذي ارتكب جريمة الزنى، لماذا هذا الحكم بالرجم، فغير المسلمين كثيرا ما يتساءلون لماذا كل هذه القسوة. طبعا، في نظر البعض قسوة، وفي نظر الآخرين رحمة وفيها وضع حد للرذيلة. فالإسلام دين تطبيق، دين واقع، دين أحكام وقوانين وردع، لا مجرد نظريات. فلو فُتح باب الزنا، كما في عديد الدول الغربية، سنحصل على مجتمع لقيط، وهو ما تفسره لنا الاحصائيات، أن نصف أطفال أروبا وأكثر بلا آباء، والأغلبية منهم لا يعرفون آباءهم، فهم أبناء زنا. أي قد يجد الولد نفسه بعد زمن متزوجا من أخته وهو لا يدري والعياذ بالله.

لن أناقش الموضوع من وجهة نظر المجتمع إليهم، لكن سأسأل، لماذا يُحرم هذا الصغير من حقه في الأبوة بسبب جشع شخص وشهوته التي تقدر ببضع ثواني، بسببها يأتي إلى هذا العالم، شخص بريء يُحرم من أبسط حقوقه، ومن أهمها أن يكون له أب وأم شرعيين كباقي أقرانه. كما أن الزنا هو دليل على غريزة بهيمية، فسادها أكثر من نفعها، منها اختلاط الأنساب، وفساد المجتمع، ليصير مجتمعا حيوانيا كمجتمعات القطط. وقد ميز الإسلام الإنسان بالعقل، وقرر للإنسان الزواج،

وقال بعض العلماء بفرضه، كما أن الزواج في الإسلام هو نصف الدين، لما فيه من استقرار نفسي، وصلاح للمجتمع وتنظيم.

والزنا ما هو الا اعتداء على أعراض الناس وشرفهم، واستغلال فاحش للمرأة التي كرمها الإسلام استغلالا فاحشا كمجرد آلة لإشباع الرغبات ليس إلا، وبذلك يعد الزنا جرما كبيرا لا تسامح فيه.

أما قطع يد السارق، فهو يحكم، ينفذ على من سرق وليس به خصاصة، وكانت الدولة قد وفرت العدالة الاجتماعية، ولا يطبق على الفقير والمحتاج كما يحدث في بعض من يطبق الحد زورا وبهتانا. وكم نحن بحاجة لتطبيق هذا الحد على أمراء هؤلاء، وعلى الكثير من السياسيين في بلادنا، وأصدقاؤهم من رجال الأعمال، الذين سرقوا أموال شعب برمته دون أي شفقة أو رحمة أو مراعاة. هنا، وجب تطبيق الحد بلا شفقة. بل هو رحمة للضعفاء والمساكين ورادع للمجرمين، ولا ينكر حدود الله إلا مجرم أثيم.

أعيد السؤال مرة أخرى، هل الإسلام ظالم؟ ألا ترى أنه يحمي حق الضعيف، ويحفظ كرامة المرأة ومكانتها، ويحافظ على تماسك المجتمع، ويسعى لتحقيق حياة كريمة قوامها الحرية لكل شخص في إطار احترام حرية الآخر؟ أين الظلم في هذا؟ بل إن من يدعي غير ذلك، ويدعي أن الإسلام نظام ظالم، فهو الظالم بلا شك ويسعى لطمس الحقائق زورا.

الأربعاء 17 رمضان 1440 الموافق لـ 22 ماي 2019

اللغة العربية والقرآن

كثيرا ما يسأل الناس، لماذا القرآن لا يسمى قرآنا إلا باللغة العربية؟ ولماذا اللغة العربية دون غيرها؟ ولماذا لا يكون قرآنا بكل اللغات؟ أليست هذه محاباة للعرب دون غيرهم؟ أليس اعتبار القرآن قرآنا بلغة العرب فقط يشير أن الإسلام والقرآن للعرب دون غيرهم؟

القرآن، هو كتاب معجز، نزل بأفصح لغة، وأكثر اللغات كلمات وتعابير، وأكثرها تعقيدا. ففي العصر الذي نزل فيه القرآن كان عصر الشعراء، وعصر الفصاحة وعصر البلاغة والمبارزة الشعرية والتباهي بذلك. فجاء هذا الكتاب متحديا لكل عربي فصيح، ليعلن أنه الكتاب المعجز بتلك اللغة.

وبراعة العرب في ذلك العصر في الشعر والنثر لا مثيل لها، بل إن اللغة العربية إلى يومنا هذا أفصح لغة على الاطلاق، وأصعبها من حيث النطق ومن حيث الفهم، فهي لغة الضاد، هذا الحرف الذي تتميز به اللغة العربية دون غيرها.

والعربي يمكنه نطق جميع الحروف دون أي صعوبة، وتعلم أي لغة بكل سهولة، بالرغم من اللهجات الموجودة اليوم بعيدة عن أصل اللغة، لكن بقيت اللغة العربية ثابتة إلى اليوم تدرس كما هي فلم تتغير أو تتجدد.

نعم اللغة العربية هي اللغة الحية الوحيدة التي لم تتغير أو تتجدد، بالرغم من محاولات الأعداء المتكررة لطمسها ومحوها وتغييرها، خلافا لكل اللغات، ويظهر

ذلك في عصرنا تلك الإعلانات وحتى بعض الروايات التي يتم كتابتها بلهجات بعض الدول العربية بل حتى ترجمات الكتاب المقدس وهو مخطط تبشيري شيطاني. فمثلا لو نقرأ صفحة من كتاب قديم، بأي لغة من لغات العالم، سنجد صعوبة في فهمها، واختلاف جذري بينها وبين اللغة الموجودة اليوم.

أما اللغة العربية، فأقدم كتاب كتب بها هو كتاب القرآن، والأقدم منه أشعار العرب، ولا نجد صعوبة كبيرة في فهمها، فالتراكيب نفسها والقواعد نفسها، وقد يعترضنا مشكل وحيد هو عدم معرفتنا ببعض الأوصاف، أو بعض الألفاظ التي أصبحت غير مستعملة اليوم ونجد شرحها.

وبقاء اللغة العربية ثابتة بهذه الطريقة ليس من الصدفة، وليس عملا بشريا، فقد حُفظت اللغة بحفظ القرآن لها، والقرآن حفظها وحفظ قواعدها لكيلا يضيع المعنى الأصلي للقرآن.

فكيف علم مؤلف القرآن أن اللغات تتجدد؟ وكيف علم أن التوراة والإنجيل والكتابات في تلك العصور سيضيع فهمها الحقيقي بضياع لغتها؟ أليس هذا إعجاز واضح ودليل دامغ على المصدر الإلهي للقرآن الكريم.

كما أن الترجمة هي من أخطر ما قد يهدد أي كتابة مقدسة محكمة المعاني، وخاصة إذا كان الكتاب بلغة ثرية كاللغة العربية، فلن تتجاوز الترجمة حدود الترجمة التفسيرية، وإلا ضاع المعنى الكلي، خاصة وأن الآيات حمالة أوجه، وتحتمل التأويل، كما يمكن أن يكون لها معنى مضمر أو معنى مسكوت عنه، يضيع فهمه بضياع اللفظ الحقيقي. وبالتالي يضيع الإعجاز الدائم والأبدي للقرآن ومعانيه.

ليست صدفة وليس تعصبا، بل هو حكم مدروس وتوجيه حكيم لا يصدر من إنسان أو من شخص عادي، ولا يصدر من مخلوق محدود الفهم والنظر، بل هو حكم الله العليم الحكيم الذي يعلم ما كان، ويعلم ما يكون ويعلم ما لم يكن إذا كان كيف سوف يكون.

كما أن اللغة العربية، هي اللغة الأكثر ثراء من حيث عدد الألفاظ والتعابير والتراكيب، كما أن المعروف أن العربية هي لغة أهل الجنة، لذلك فمن المرجح أن تكون هي أصل اللغات، التي تفرعت منها باقي اللغات، وبتفرعها قلت العبارات، والألفاظ وصارت دون العربية في ذلك. وأقول من المرجح والله أعلم.

الخميس 18 رمضان 1440 الموافق لـ 23 ماي 2019

الكعبة

ماهي الكعبة؟ ولماذا يصلي المسلمون للكعبة؟ وهل فعلا يعبد المسلمين هذا البناء القديم؟ وما مدى قدسية هذه الكعبة في الإسلام؟

الكعبة، هي أول بيت بني للناس؟ فمن بناه؟ تختلف الروايات في ذلك، والأرجح أن من بناه هو سيدنا آدم عليه السلام وهذا القول بالاعتماد على أنه أول بيت بُني للناس. والثابت أن من بناه هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، لكن السؤال المطروح، هل بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام أم أعاد بناءه؟ فالمهم لدينا أنه بناء، له قدسية خاصة، بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأصلح العرب الكعبة قبل رسالة الإسلام، ثم تم تجديد البناء مرات متعددة.

وهذا الهدم وإعادة البناء أو الإصلاح، هو دليل على أن المسلمين لا يعتقدون في الكعبة أنها إله أو أنهم يعبدونها أو يسجدون لها لذاتها، فلو كان الأمر كذلك لما تجرأ عليها أحد من المسلمين، إضافة إلى أن هدمها وترميمها قد يتسبب في ترك المسلمين لدينهم إذا اعتقدوا أنها إله إذا ما اكتشفوا أنه أعيد بناؤها أكثر من مرة.

ولكن سجود المسلمين للكعبة هو أمر تنظيمي وترتيبي. يكون ذلك بأن يكون للمسلمين اتجاه واحد في كل مكان وفي كل مسجد، يتم التوافق بحكم بين واضح للصلاة إليه، فهي قبلة الصلاة، أي الاتجاه الثابت للتوجه إليه في الصلاة، فكما أن السماء قبلة الدعاء، فالكعبة هي قبلة الصلاة.

ولا تبطل صلاة من كان في سفر أو في أرض غير أرضه ولم يستدل على القبلة فصلى لأي اتجاه كان، ولا تبطل صلاة البحار في البحر، إذا استقبل القبلة في أول الصلاة فحادت السفينة عن ذلك الاتجاه، فالمهم أنه استقبلها في بداية الصلاة، وكذا الأمر في الطائرة بحسب بعض الأقوال. فبالتالي الكعبة كبناء عتيق، له قدسية خاصة، من حيث صاحب البناء، واختيار الله لها لتكون قبلة الصلاة إليها. كما أن الله أمر المسلمين بمخالفتهم لأهل الكتاب، فان كانت قبلتهم المسجد الأقصى فللمسلمين قبلة خاصة بهم، تذكرهم بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. وفي هذا الأمر رمزية للأسف لم يفهمها أهل الكتاب أو تجاهلوها حقدا وحسدا.

وقد يسأل آخر، إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يطوف الناس حولها؟ كما كان يطوف العرب قديما به؟ أليست هذه عادة وثنية؟

فنقول، إن الطواف بالكعبة قديما، هو من تعاليم سيدنا إبراهيم عليه السلام، فالعرب كانت على ما بقي من الديانة الحنيفية وهي ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام، والمعلوم أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يعبد الله في الغار بتعاليم هذه الديانة أو الأصح ما تبقى منها. فالطواف والصلاة وغيرها من التعاليم، هي تعاليم إلهية موجودة منذ قديم الزمان في كل الأديان السماوية.

أما الطواف بصفة عامة، سأجيب عنه في الفصل الخاص بالحج.

الجمعة 19 رمضان 1440 الموافق لـ 24 ماي 2019

الحجاب

الحجاب هو ما يحجبنا عن المعاصي وعن الانقياد لأوامر الشيطان، الحجاب هو ما يحول بيننا وبين كل طريق أو سبيل بعيد عن الصراط المستقيم. الحجاب هو الدرع الواقي، من الوقوع فيما يغضب الله. وقد يكون الحجاب ما يحجبنا عن الله سبحانه وتعالى ولكن الحجاب الذي أمرنا به الله هو ان نحتجب من المعاصي.

ولما اشتهر الحجاب، أنه حجاب المرأة، اعتقد البعض أن الحجاب هو غطاء للرأس أو الشعر فقط، وخاصة من نساء وبنات عصرنا للأسف. ونسوا أن الحجاب ليس مجرد غطاء أو مجرد لباس، بل هو مجموعة أحكام تهم الرجل والمرأة على السواء. وما اللباس إلا فرع من فروع هذا الحجاب.

الحجاب هو حجاب القلب عن المعاصي، ولأنه ما كان في القلب ظهر على الجوارح، فسيظهر هذا الحجاب على جوارحنا، بالتزام الأمر بالطاعة. وهو مفهوم الالتزام بصفة عامة، فالبعض يظن أن الالتزام يبدأ بالشكل ولكن العكس صحيح، الالتزام هو التزام القلب، ليفيض ما فيه على الجوارح.

حجاب الرجل هو غضه للبصر، اجتنابه للمعاصي، اعتزاله لأصحاب السوء. حجاب الرجل هو في تربية لأبنائه، وفي معاملته لزوجه، حيث يحجب نفسه عن أفكار الجاهلية، والشدة والقسوة، ويعامل أهله باللين والحب والعاطفة والمودة والرحمة.

أما حجاب المرأة وهو المقصود من هذا الموضوع عامة وما يثير حفيظة أعداء الإسلام بصفة خاصة، وهو كما ذكرت ليست بمجرد غطاء للرأس، بل هو حجاب للفكر الجاهلي، ونور وفكر متقدم، وهو القيمة العقلية للمرأة. فالمرأة، مجبولة على حب الزينة، والظهور بمظهر حسن، أي أن تكون جميلة. وبالتالي يفتتن بها الرجال، والفتنة أشد من القتل. وما لهذه الفتنة من آثار سلبية، قد تكون سببا في نفور الزوج من زوجته، أو نفور الزوجة من زوجها لعدم غضه للبصر وبسبب إعجابها بجمال فلانة أو مفاتنها، وأيضا من باب درأ المفسدة، فقد فرض الحجاب كلباس على المرأة. وهذا الحجاب بأوصاف معينة، مدروسة من عالم حكيم، وهي ألا يشفّ وألا يصف وألا يكون لافتا للنظر، فلا يكون شفافا أو من خامة خفيفة، وألا يكون ضيقا واصفا لجسد المرأة، وألا يكون بزينة أو رسوم تلفت الأنظار اليها.

الحجاب ليس ليحقر من المرأة أو يحط من قيمتها. لأن قيمة المرأة الحقيقية في أخلاقها، والتزامها الديني وفكرها ووعيها، أما مظهرها فليس إلا شكليات، مجرد أعرا تتغير بتغير الزمان والمكان والحالات. فالباقي، هو الجوهر، ذلك القلب النقي العامر بالإيمان. وكل امرأة تحدد قيمتها وفق لما وصل إليه فكرها من نضج ومعرفة، فمنهن من اختارت أن تكون عقلا مفكرا، والتزمت بأحكام الدين، وكانت مصرة على أن من يريدها حقيقة يطلبها لدينها وأخلاقها. ومنهن من لم تصل لهذا المستوى الراقي من الفكر، فحبست نفسها في سجن المظاهر، فاقتنعت أو أقنعوها بأنها جسد، مصدر للشهوة، قيمتها في جمالها ومفاتنها. فصارت تعتني بجسمها على حساب عقلها.

هل رأيت إذا حجبت نفسك عن المعاصي والفتن والنظريات الفاشلة، أرأيت إذا حجبت نفسك عن هذه الأفكار الدخيلة، وليدة أغراض معينة. فحجاب المرأة

هو العدو اللدود لتجّار اللباس العاري الفاضح الباهظ الثمن، الذي لا تتجاوز خامته من القماش المتر، ليباع بمئات الدولارات تحت مسمى الموضة والماركات الوهمية.

وكذا الأمر بالنسبة للرجال، فاذا حجبت نفسك عن الزنا، والمخدرات والخمر وحتى التدخين، فسيكون الضرر الحقيقي لهذه الشركات التجارية، التي تجني أموالا هائلة من تجارتها الفاسدة. إن الحرب على الحجاب والالتزام ليست من فراغ، بل هي حرب مدروسة بدقة، لأن في الالتزام ضرب لشركات الفساد العالمية في مقتل، وضرر عظيم بالشركات العالمية المختصة في نشر الإباحية وترذيل المرأة وجعلها بضاعة رخيصة جدا مرمية على قارعة الطريق تستمتع بها ببضع دولارات ثم ترميها مرة أخرى وكأنها كأس بلاستيكي تشرب منه مرة وترميه.

السبت 20 رمضان 1440 الموافق لـ 25 ماي 2019

الزكاة

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام الخمسة. وهي دفع مبلغ معين من المال لفائدة الفقراء والمساكين والمحتاجين. والزكاة هي فرض واجب على كل شخص يملك من المال مبلغا محددا يسمى النصاب. وهذا المبلغ قد بقي مجمدا، لم يصرف منه، بقي في رصيده، لمدة سنة كاملة. عند إذن يجب عليه دفع ربع عشر هذا المبلغ.

كما أن الزكاة تشمل الذهب والفضة، والحبوب بجميع أنوعها، والفول والحمص والعدس، والزيت والزيتون، والتمر والزبيب، والإبل والبقر والغنم. وكل ما ذكر، له نصاب محدد، وطريقة إخراج معينة، تختلف من نوع لآخر، بحسب نوعها وجنسها.

الزكاة، هي تزكية للمال، أي تطهير له، فيصير خاليا من كل ما يشوبه ومن كل زائد حرام فيه. فيجب أن يكون الكسب حلالا طيبا. لكن يصير حراما لما يتعلق به نصيب الزكاة، فهذا الزائد يخرج من ملكا ويصبح ملكا لغيرنا، فيجب إخراجه ودفعه ليعود المال مزكى حلالا طاهرا. فهذا المال ليس ملك لك بل هو لغيرك.

والزكاة، هي نظام مالي دقيق، حيث أن الزكاة دعوة غير مباشرة لعدم ركود الأموال وتجميدها. فيذهب صاحب المال لتصريفها وصرفها في التجارة والأعمال، وبالتالي تكثر المشاريع ومواطن الشغل، وتتحسن الدورة الاقتصادية وتنهض البلاد.

وبدفع الزكاة، وإعطائها للفقراء والمساكين، ودفعها في مصالح العباد والبلاد، نقضي على الفقر والفقراء. فالأصل إعطاء الزكاة لشخص، ليست من باب المن، بل هي لإنشاء مشروعه الخاص، ليصبح من أصحاب الأموال، وليصير ممن تجب عليهم الزكاة، فيدفع بمال زكاته للمحتاج، ومساعدته، ليصبح من أصحاب المشاريع، وأصحاب الأموال، ليكون عنصرا فاعلا في المجتمع، يدفع مال زكاته في المستقبل.

دفع الزكاة ليس منّا، ولا يتم بالتكبر والتعجرف، بل يخضع لشروط، أولها الكسب الحلال، ثانيها أن تكون من أفضل ما عند المزكي من مال، كالأوراق النقدية أو العملات الجديدة، وإن كانت في المواشي أو الحبوب تكون من أفضل الحبوب والثمار كذلك. وثالثها أن يكون بطلب من المحتاج بكل أدب وبرجاء، أن يقبل هذه الزكاة، فرفضه لها يعني عدم إتمام هذا الفرض.

الزكاة، أقرها الله لإصلاح النظام الاقتصادي والارتقاء به، للقضاء على الفقر أولا، وللحفاض على اقتصاد مزدهر، قائم على المشاريع، لا مكان فيه للأموال الراكدة التي تتسبب في الركود الاقتصادي، وتكون سببا في الانهيار بالاحتكار وخزن الأموال دون صرفها.

وتثبت حقيقة الإعجاز الاقتصادي في الزكاة، في ظاهر الفكرة وباطنها، كيف لهذا النظام وهذا الحكم أن يكون سببا في القضاء على أشر ما يصيب المجتمعات من فقر وخصاصة. الزكاة رحمة للناس وقيمة من قيم التضامن والتحاب في المجتمعات.

الأحد 21 رمضان 1440 الموافق لـ 26 ماي 2019

الصوم

الصوم هو ركن من أركان الإسلام. والصيام يعرف بأنه الامتناع عن الأكل والشرب والجِماع وكل الشهوات وكل ما يدخل من الفم وإلى الجسم بصفة عامة. وهذا من التعاريف السطحية للصوم، التي حولت الصوم من عبادة إلى عادة اجتماعية تمتاز بنظام معيشي خاص في ذلك الشهر.

الصوم ليس مجرد امتناع عن الأكل في وقت محدد. بل هو امتناع القلب عن المعاصي والآثام طيلة أيام السنة، وهذا الشهر هو تدريب مكثف، ودورة مغلقة لتدريب القلب والنفس على هذا النظام. وهو النظام التربوي الذي لابد وأن يسير عليه كل مسلم.

الصوم هو الامتناع عن المعاصي والآثام وحتى المكاره، وتدريب النفس وجهادها. يصوم القلب عن الشهوات، وعن كل محارم الله. هذا التدريب بتوجيه رباني، دون أن يكون تحت إشراف مدرب يلاحظ أو يدون، بل بمراقبتك أنت لنفسك، ومراقبتك لقلبك.

الصوم أمر بينك وبين الله، لا يعلم خفاياه إلا أنت وربك. فإما الالتزام بالأمر، والإصرار عليه من تلقاء نفسك، وإما رفضه، والعمل بما يرضي نفسك ويغضب ربك.

الصوم كبح لجماح الشهوة، والسيطرة على النفس لا سيطرتها علينا، والسمو من عبد للشهوة إلى عبد لله وحده. وهذا الصوم بمعانيه يعتبر من أعظم المعاني وأكثرها تعقيدا، وهي مرحلة من مراحل التدريب الروحي، الذي يكون طبقا لقواعد عديدة ونظريات مختلفة، وتدريبات شاقة تستمر لوقت طويل جدا، وتحت إشراف مدربين ومراقبين.

ولكن الإسلام، بتفصيل بسيط، وبتدريب غير معقد، ودون إشراف الآخرين، وبكل حرية وبكل أرياحية يقدم لنا الحل الأمثل لبلوغ هذه المرحلة من السمو الروحي، لكن دون العيش في خيالات وأوهام بل بالبقاء ضمن المجموعة الاجتماعية ليكون الفرد الواحد زاهدا بالقلب لا بالجسد.

أما من يصوم طيلة النهار، ليملأ بطنه بالأكل والشرب، فقد ضيع الفرصة الحقيقة للسمو الروحي، ليضع نفسه على بداية طريق الزهد. والزهد هنا هو زهد القلب لا الزهد بمعنى ترك الدنيا. بل أن تكون الدنيا آخر همه في الوقت الذي يسعى للتعمير والتقدم والبناء، لكن دون أن يكون متشبثا بالدنيا بل هدفه إرضاء الله والتقرب منه والعمل على المصلحة العامة.

هل صمت عن الأكل والشرب فقط؟ وما فائدة ذلك؟ إذا لم يكن هذا الشهر فرصة للتغيير. فرصة لتغير كل العادات السيئة لتصبح عادات حسنة، لتبدأ في تدريب القلب على حب الطاعات، لتسمو بنفسك وترتقي. والارتقاء ليس ارتقاء النيرفانا كما في أديان الشرق، ولكنه سمو روحي حقيقي وتطبيقي، يأخذ النفس البشرية وينقذها من وُحول الشهوات ويرتقي بها إلى جنّات القربات.

إنها الفرصة السنوية لتبدأ جهاد النفس صحبة كل المسلمين في تدريب جماعي. وليس الصوم صوم الأكل والشرب، بل هو انقياد لأمر الله تعالى، ولا نبرره بنظريات علمية أو ما شابه ذلك، وإن كان الاعجاز حقيقيا فلا بد وأن يكون الهدف من الصوم تعبديا. فالصوم هو صوم عن الشهوات. لا بد وأن يكون القصد هو الله وليس لأن في الصوم نفع مادي.

الاثنين 22 رمضان 1440 الموافق لـ 27 ماي 2019

الحج

الحج لمن استطاع إليه سبيلا، أي من استطاع الذهاب ليحج، ليزور الكعبة، ويتم هذه العبادة، من استطاع جسديا، ومن استطاع ماديا. الحج مشقة، الحجة جهاد، الحج أركان وأيام من العبادة.

من منكم أدى الخدمة العسكري لا يذكر تلك اللحظات الأولى التي ارتدى فيها الزي العسكري ووقف في الصف صحبة رفاقه، الكل بلون واحد، ووقفة واحدة ونظام واحد وحركة واحدة. في الوقت الذي يقف فيه آمر السرية ليقول بكل فخر، أن تجميعهم لنا بالزي والحركة هو لتوحيد قلوبنا على عقيدة الجهاد العسكرية والولاء للوطن.

لكن حقيقة، هل توحد الجنود؟ هل قلوبهم على قلب رجل واحد؟ هل حركاتهم متوافقة مع بعضهم البعض طواعية؟ وهل أن نظام العقوبات العسكرية ساهم حقا في توحيد هذه الجماعة قلبا وقالبا؟ لا أبدا، فالكل يقوم بهذا كرها، وكل قلب في فلكه يسبح، وحتى إن أخطأ جندي وعُوقبت كل السرية فلن يساعد ذلك عن نهيهم لصديقهم على ذاك الفعل مجددا بل سيولد الحقد والضغينة تجاهه أولا وتجاه القيادة ثانية.

على عكس ذلك، نرى أناسا توحدوا، لبسوا نفس الثوب، وقاموا بنفس الحركة، وحتى لو أن قلوبهم ليست على قلب رجل واحد، فإن أغلبهم على قلب رجل

واحد، والأغلبية الساحقة منهم على قلب رجل واحد. أتوا من كل فج عميق، أتوا من كل أصقاع الأرض، مُلبين النداء في هذه الرحلة، رحلة الحج العظيمة، التي لو أمعنا فيها النظر لما وجدناها مجرد رحلة، ولو أمعنا أكثر لتيقنا أنها من المعجزات الربانية في الأمة الإسلامية.

رحلة الحج التي قام بها مالكوم اكس مثلا، أو رحلة الحج لمحمد أسد ليبولد فايس سابقا، أو جيفري لانغ هي من أهم القصص التي يجب ذكرها في هذا الباب، ورحلات الكثيرين من أمثالهم، هي قصص لابد وأن تحكى حول الحج، حول هذه المناسبة العظيمة، التي تجمع كل الأجناس والجنسيات، في مكان واحد، للقيام بحركة واحدة، طوعا لا قهرا.

مثلا، مالكوم اكس، شعر ولأول مرة في حياته، أن إنسان ككل الناس، ليس قردا متطورا أو مسخا أو نسخة مشوهة من كائن متطور، فلونه الأسود لم يكن عائقا أو نقصا في ذاته، بل إني كدت أجزم أن مالكوم اكس قد نسي لون بشرته في تلك المواقف وتلك الرحلة العظيمة من خلال كلامه وتعبيره. كيف أنه كان محل ترحيب من كل الناس، باختلاف أجناسهم وألوانهم وجنسياتهم، دون سابق معرفة بهم. فقد أحس في وسط هذا الحشد بإنسانيته المفقودة في الأراضي الأمريكية التي تدعي الديمقراطية والعدل والمساواة ومحاربتها للعنصرية.

يكفينا هذا المعنى وتكفينا هذه المناسبة وهذه العبادة، التي نقوم فيها بإحياء مناسك هي رموز لأحداث تمت قديما، نقوي بها إيماننا، ك أمر الله بذبح سيدنا إبراهيم لابنه، ورمزية ذلك الطاعة التامة لله والتسليم لامره، والسعي بين الصفا والمروى، وهو اتخاذ الأسباب والسعي دون يأس أو قنوط من رحمة الله، والطواف

وسط حشد كبير ليستوي الجميع بلابسهم الموحد وحركتهم الموحدة، ليفتخر الفقير بإسلامه ويتواضع الغني للخالق، الكل من الغفير إلى الوزير اجتمعوا بلا رتب بين يدي الله وكأنه يوم الحشر، ليعرف كل إنسان قدره أنه لا شيء بين يدي الله. الحج أين تختفي الرتب ويختفي كل ما هو عارض مؤقت ليبقى الإنسان كما هو عبد خاضع لله ذو القوة المتين.

وكل ركن هو رمز، هو مجموعة معاني سامية، تربينا وترشدنا، وتذكرنا في نفس الوقت، بسير الأنبياء وبإيمانهم، وتذكرنا بأحداث غيرت في هذا العالم. هو الشعور بالفخر والعزة بالانتماء لهذا الدين. وليس المجال لمناقشة كل ركن على حدى، ولكن يكفينا الشرح الإجمالي لهذه الفريضة.

الثلاثاء 23 رمضان 1440 الموافق لـ 28 ماي 2019

الرجل في الإسلام

ما يشاع أن الرجل في الإسلام ذلك الشخص المتسلط، ذلك الشخص الذي يفعل ما يروق له، ومهما ارتكب من معاصي وآثام يبقى ذلك الرجل الذي لا يلطخ سمعته شيء، فنسمع دائما الرجل لا يعيبه شيء، بغض النظر عمن يقول يعيبه جيبه، ولكن هذا موروث شعبي وعاهات لا تمت للإسلام بصلة.

لكن الرجل في حقيقة الأمر، يحمل على عاتقه مسؤولية عظيمة، فهو ليس بإمام معصوم، أو ذلك الرجل الذي مهما أخطأ فهو على حق، فالإسلام لا يفرق بين الذكر والأنثى في المعاصي والآثام وكل ما يغضب الله. وكل تلك الموروثات لا أصل لها في دين الله عز وجل.

ما يجب على الرجل، منذ سن بلوغه عفة نفسه، واجتناب المعاصي بجميع أنواعها، أي عدم سلوك أي طريق منها، وألا يسلك طريقا فيه شبهة سواء من قريب أو من بعيد. ومهما كانت الطاقة الكامنة فيه، فيجب عليه تصريفها في الحلال والطاعة لا في الحرام، فيتعلم دينه ويحفظ القرآن إن تيسر له ذلك ويتعلم العلوم اللازمة والواجب عليه تعلمها. كما أنه مكلف بالعمل من أجل جني المال الحال ليعيل نفسه وأهله وعدم التواكل والاعتماد على الغير وتحمل المسؤولية منذ الصغر.

كما أنه مكلف بالتسريع في الزواج، وخاصة في عهد الفتن، وها نحن نعيش أشدها، بالبحث عن ذات الدين، لا تلك المتبرجة خائنة العهد، فيكون معياره

الأول الدين والأخلاق فقط لا غير. ويسعى لذلك بكل ما يقدر. ويتخذ الأسباب لذلك، لا مماطلا ولا متكاسلا، فالزواج هو نصف الدين، هو الاستقلال والاستقرار النفسي.

وواجبات الرجل بعد زواجه لا تختلف عن واجباته قبل زواجه، فأغلبها استمرارية للأولى، وأهمها طاعة الله، وتعلم الدين الصحيح، ويضاف إليها واجبات أخرى وهي تعليمه لزوجته إذا لم تسنح لها الفرصة للتعلم، ويشمل هذا التعليم كل علم، فالفصل الذي حدث بين ما يسمى علوم الدين والدنيا باطل، فكلها علوم يستفاد بها، تساهم في تقدم الأمة، فذلك العلم الدنيوي كما سموه يوصلنا إلى العلم الشرعي أو نجده محكوما بالعلم الشرعي.

فمثلا علم الاقتصاد محكوم بأحكام المالية في الفقه الإسلامي، وعلم الفلك والفيزياء يوصلاننا كغيرهما من العلوم التجريبية إلى عظمة الخلق وبالتالي عظمة الخالق. فالتقدم والتطور ونشر العلم من مهمة الرجل أولا، بِحثّه لأبنائه وأهل بيته. وأيضا غرسه فيهم أسس العقيدة الصحيحة، والأخلاق والتربية الدينية القويمة.

وهذا الزوج مكلف شرعا بالإنفاق على أهله وزوجته وأبنائه، فمال الزوجة ملك لها، أما مال الزوج فهو ملك للجميع، طبعا جميع أهل بيته، فالإنفاق مسؤوليته، حتى وإن كانت المرأة عاملة، فهذا لا يمنعه من التكفل التام بجميع نفقاتها وعدم الأخذ من مالها دون إذنها.

للرجل واجبات وأيضا لديه حقوق، ولكن لما صرنا كمجتمع ذكورا وإناثا لا يهمنا إلا حقوقنا ولا نقوم بواجبتنا، وأصبحنا نفكر بجشع وأنانية مطلقة، تغيرت

الكثير من المفاهيم، وبما أن لكل فعل ردة فعل، فقد أصبحت المرأة تتمرد على الرجل بصفة عامة، والأصل أن تتمرد على موروث شعبي لا دخل للرجل فيه، وأن تربي أبناءها على ذلك ولكن، ذلك الرجل الذي لا يلتزم بواجبه ولا يلتزم بدينه نشر أفكارا مسمومة اقتنعت بها المرأة وأفسدت بها فطرتها.

للرجل دور كبير في التأثير على المرأة وأفكارها كما أن للمرأة نفس الدور وهذا أمر يؤكد لنا أن العلاقة بينهما علاقة تكامل وليست علاقة تفاضل أو تنافس، ولكن سوء فهم الدين أو استبداله بنظريات بشرية فاشلة قادنا ويقودنا إلى كارثة عظيمة لا تُحمد عُقباها ولعل من ملامحها تفشي الطلاق ثم العنوسة وبالتالي الزنا والعياذ بالله.

هل أن الإسلام شجع على قيام مجتمع ذكوري كما يدعي البعض؟ وهل أن المرأة لا قيمة لها في هذا المجتمع؟ ان السؤال القادم حول وظيفة المرأة في الإسلام سيزيل الغمام على الكثير من التساؤلات كما توضح لنا أن الرجل ليس بشخص حر في أفعاله، بل هو مكلف أشد التكليف في الحفاظ على نفسه وأهله وضمان الاستمرارية لمجتمع مسلم قوي متماسك.

الأربعاء 24 رمضان 1440 الموافق لـ 29 ماي 2019

المرأة في الإسلام

إذا ذكرنا المرأة في الإسلام فإننا نقصد الأم. فهي المدرسة التي تربي الأجيال الناشئة، هي الركيزة الأساسية لبناء المجتمع، أو بالأحرى لتربية مجتمع مسلم، وليس القصد بمجتمع يؤدي عبادات شعائرية فحسب بل مجتمعا مسلما في الباطن قبل الظاهر، في الأفعال قبل الأقوال.

ولكن، هل لغير الأم دور في المجتمع؟ يجب أن نشير ها لنقطة هامة، هي أن الأمومة صفة تشترك فيها كل النساء، حتى تلك الفتاة التي لم تتجاوز عقدها الأول، فتصرفاتها مع دميتها، ومع اخوتها وحتى طريقة تعاملها مع من يصغرونها سنا يجعلك تتعجب وتندهش، فهي مجبولة بالفطرة على الأمومة وحتى وإن لم تكن أما، فهي مربية.

قديما، كان الأدب مقدما على الطلب، أي أن الأدب بمعنى التربية قبل طلب العلم، والأدب أو التربية المقصودة هنا هو جزء من التدريب على مجاهدة النفس والتأدب مع الله ودينه ومن يحمله ويبلغه، ثم يكون الأدب مع الخلق أجمعين. وبطول الزمان، وطبقا لمخططات استعمارية نتيجة للمحاولات المكثفة لطمس الإسلام، وذلك بمساعدة المستشرقين والمبشرين وممن والاهم، أصبح التعليم الإسلامي على نمط التعليم الغربي الفاشل، ثم لم يعد للتعليم الإسلامي وجود، وصارت التربية الإسلامية مجرد مادة لا يؤثر العدد المحصل فيها على المعدل العام

للتلميذ، وأخيرا أصبحت الوزارة المعنية بالأمر، وزارة التربية والتعليم، وزارة التعليم فقط، وألغيت التربية، وكل هذا بضغط غربي تحت حجة الدراسات العلمية لمناهج التربية الجديدة وكأن مناهجهم التافهة أصح من الدين الذي ارتضاه لنا خالق الكون.

هذا طبقا للتعليم الغربي ومناهجه، ولكن هل أن الغرب وتعليمه تفوق على الإسلام في اعتباره للمرأة كائنا بشريا مساويا للرجل، أو على الأقل قد عدل بينهم؟ لنعرف قيمة المرأة في الإسلام حقيقة ووظيفتها التي كلفت بها، لابد وأن نستكشف النظريات الأخرى، والأديان الأخرى، وكيف يعامل العالم المرأة، وماهي نظرتهم لها، هل هي ذات قيمة معنوية؟ أو هي ذات قيمة مادية؟ أو أنها بلا قيمة من الأساس؟

من أجل هذه المقارنة وهذه المعرفة لابد من إلقاء نظرة شاملة كاملة، ونناقش كل الأفكار والنظريات، وحتى الأديان، لنعرف حقيقة هل أن الإسلام ظلم المرأة أم لا؟ ولننظر للمرأة في الإسلام هل هي فعلا مكرمة أو أن النظريات الأخرى أعطتها قيمة أكثر من الإسلام.

في هذه الأيام، قامت وزارة الدفاع الأمريكي بنشر تغريده على مدونتها على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، تخاطب فيها من أدوا الخدمة العسكرية وعن ذكرياتهم، وكم كانت الردود محبطة عنيفة تدمي العين والقلب، وما وقفت عليه من تلك التعاليق، تعاليق الإناث اللواتي أدين هذه الخدمة، ولفت نظري تعليق بنت وروايتها لقصتها، كيف أنها تعرضت للتحرش والاعتداء الجنسي، ورغم إبلاغها عن المعتدي إلا أنه لم تتم معاقبته، لكنه عوقب عندما قام بسرقة جهاز كمبيوتر

محمول. وأتمت تعليقها في حرقة بالغة، وبكلمات تدمع العين حقا، انه الأسى والظلم، قالت حينها علمت أن جهاز الكمبيوتر له قيمة أكثر مني.

أعجز عن التعليق، أعجز عن الكلام والتعبير، فمها تصورت بشاعة الموقف فلن أعبر عنه بمثل ما عبرت عنه، كنت سأقول كيف أن السرقة جرم تعاقب عليه الإدارة الديمقراطية جدا أكثر من الاعتداء على شرف بنت، هذه الجريمة الشنعاء، هذا الجرم الكبير الخطير، ولكن من نخاطب، فهم قوم بلا شرف من جهة ولا قيمة للمرأة في مجتمعاتهم من جهة اخرى.

ولا أتوقع أني سأصل للحد الذي سأعتقد أن مجرد جهاز كمبيوتر محمول له قيمة أكثر من المرأة، أكثر من كائن بشري، له الفضل في وجودنا على سطح هذه الأرض. فالمرأة هي الأم، هي المربية، هي المدرسة. ومن يستطيع فهم ذلك وقد تربى في الحضانة واعتاد مشهدا بشعا وهو تعدد أصدقاء أمه وصديقات أبيه.

في الإسلام، جريمة الزنا، هي الجلد، والزنا هو اتفاق بين الذكر والانثى على العلاقة الجنسية، فيكون الموت إذا كانا متزوجان، فهذا هو ثمن خيانتهما لأزواجهم ولممارسة هذا الفعل الشنيع، وهو العلاقة المحرمة. ولو سألت أي متزوجة أو متزوج عن أفضل عقوبة يقترحها لشريكه إذا خانه سيقول الموت، لأنها خيانة.

أما إذا كانت هذه المرة الأولى التي تتم فيها هذه الجريمة، فسيكون العقاب مائة جلدة. وأما الاعتداء فعقابه الموت دون أدنى شك. ويشترط في إقامة حد الزنى، شهادة أربعة شهود، شاهدوا الوقائع كلها لا تتضارب أقوالهم ولا تتعارض مع بعضها البعض. وشاهدوا عملية الزنى كاملة بجميع أركانها.

المرأة في الإسلام ليست بضاعة جنسية، فهذه نظرة الغرب لها، الغرب الذي لا يعطي بالا لجرائم الزنا والتحرش والاغتصاب، إلا إذا كان المقترف من أصول عربية أو إفريقية، لتصدع وسائل إعلامهم بالباطل لتبييض صورتهم المتسخة، التي ستبقى متسخة ما داموا بعيدين عن تعاليم الإسلام ويكنون لها الضغينة. ولعل من أهم أسباب هذه الضغينة حماية الإسلام للمرأة ومنحها شرف لم تحظى به ملكاتهم في القصور الملكية.

وبالحديث عن الغرب، فان الملحد، المؤمن بنظرية التطور، لا يرى أن المرأة كائن مبجل، بل هي تشوه وطفرة في التطور أدت إلى هذا الكائن، كما أن العديد من الفلاسفة الغربيين قد عبروا عن المرأة بأبشع العبارات.

وتنسب لعظمائهم وفلاسفتهم الكثير من الأقوال التي جاءت في كتبهم أو على ألسنة تلاميذهم أو ممن نقلوا عنهم الكلام، وإن كانت أفعال الغرب ترجمة لهذه الأقوال ولكني أنقلها بتحفظ تام.

مثلا قال توما الاكويني: "المرأة إنسان ناقص التكوين وكائن عرضي"[1]. ولكن هل تعرف ماذا قال داروين صاحب نظرية التطور عن المرأة؟

يقول داروين في كتابه أصل الإنسان[2]: "المرأة أدنى في المرتبة من الرجل وسلالتها تأتي في درجة أدنى بكثير من الرجل". وذهب داروين أبعد من ذلك حين قال[3]: "المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل واضفاء البهجة على البيت فالمرأة في

---

1 George. I. Marie https://www.firstthings.com/article/1999/12/what-aquinas-really-said-about-women December 1999

2 أصل الإنسان ص326

3 أصل الإنسان ص232

البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة". وما يصيبك بالاشمئزاز هو دعم تلاميذه له وموافقتهم لهذه الفكرة. يقول المادي كارل فوجوت أستاذ تاريخ الطبيعة بجامعة جنيف[1]: "لقد أصاب داروين في استنتاجاته بخصوص المرأة وعلينا صراحة أن نعترف بالأمر فالمرأة أقرب طبيعيا للحيوان أكثر من قربها للرجل"

ومازالت الأمثلة كثيرة جدا، تلك الأمثلة التي تهين المرأة وتسيء لها، وكل من يؤمن بهذا، يهاجم الإسلام وحفظه للمرأة، واعتبارها الأم المربية. فأول من أسلم هي المرأة، وأول شهيد في الإسلام هي المرأة، والرسول العظيم قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك.

فمهمتها التي أوكلها الله لها بين جدران بيتها، فهي راعية في بيت زوجها، تعادل في خطورتها وأهميتها مهمة قائد الطائرة، فهو مجبر على البقاء في ذلك المكان الضيق، المليء بالأزرار، والشاشات والأصوات، والصبر على ذلك والانتباه، وإلا كان سببا في سقوط الطائرة، وحصول الكارثة، وهلاك الناس.

وها هي المجتمعات قد هلكت، وانتشر فيها الفساد، ومن أهم ما يجب أن نلفت إليه الانتباه هو انتشار الزنى، في أعظم صورة لإهانة المرأة، هي الصورة التي ترى فيها المرأة مجرد بضاعة، زهيدة الثمن، يحصل عليها من شاء وكيف ما شاء، وحتى إن كان ذلك بالقوة، ليطفئ فيها شهوته، فلن تجد من يسترجع لها حقها، ويضمن لها حريتها. وأطلب من القارئ أن يبحث في مواقع الاحصائيات الحكومية عن جرائم الاغتصاب وخاصة في أمريكا.

[1] Carl Vogt, Lectures on Manp. 192

المرأة في الإسلام إن مات زوجها لا تحرق معه كما في بعض عادات الفرق الهندوسية، ولا يرثها أخ زوجها ويتزوجها كما في اليهودية، فهي تملك الحرية الكاملة في الإسلام لحقها الرفض والقبول. كما أن المرأة في الإسلام بإمكانها طلب الطلاق إذا وجدت أن مواصلة الحياة مستحيلة مع زوجها بخلاف المسيحية التي لا تعطيها ذلك الحق.

ما أقف عليه دائما، وأسأل نفسي، كيف ظلم الإسلام المرأة؟ بفرضه الثياب الساترة كي لا يتمعن في جسدها كل من شاء؟ لتكون عقلا ودينا وأخلاقا لا جسدا لتلبية الشهوات الجنسية؟ أو أنه ظلمها بأن كرمها وجعل عقوبة الاعتداء عليها هي الموت؟ إن الظلم الحقيقي هو أن ترى المرأة مقتنعة أن حريتها في ابتعادها عن منهج الدين وهو في الحقيقة عبوديتها لنظام اغتصب عفتها، واغتصب حريتها، وجعلها بضاعة رخيصة جدا.

الخميس 25 رمضان 1440 الموافق لـ 30 ماي 2019

أهل الكتاب في الإسلام

ما يشاع دائما وأبدا، أن الإسلام دين عنف انتشر بالسيف، وأجبر المسلمون المسيحيين واليهود على اعتناق الإسلام عنوة. وبالاعتماد على ذلك، سعت عديد المنظمات والجمعيات والحكومات إلى محاربة الإسلام وتشويهه والصد عنه بالأكاذيب والخداع، وحتى بتوظيف من يقوم بهذا الدور الذي لم يأمر به الإسلام ولم يكن المسلمون كذلك البتة.

دعنا نسأل مجرد سؤال بريء، هل أن محاكم التفتيش إسلامية؟ الإجابة أنها مسيحية. ودعنا نسأل، من طرد اليهود من الأندلس؟ فقد كانوا في الأندلس لما كانت تخضع للحكم الإسلامي، ولما احتلها الصليبيون طُردوا جميعا، ومن بقي فقد حاكمته محاكم التفتيش وعاقبته بالتعذيب.

فماذا كان مصير اليهود لما طردهم المسيحيون؟ استقبلتهم دولة الخلافة الإسلامية، بل قد أفتى بذلك الولي الصالح مفتي الدولة سيدي محرز بن خلف، ووفروا لهم ظروف عيش ملائمة طبقا لما يرغبون فيه، ببناء ما يسمى "الحارة" وإدماجهم في المجتمع الإسلامي، ومعاملتهم معاملة تليق بهم كبشر، خلافا لما تعامل به الحكومات الديمقراطية الأوربية والأمريكية العرب والأفارقة اليوم.

كنت وقد أشرت لحكم الجزية في الإسلام وفرضها على أهل الكتاب، وليس المجال لإعادة ذكر هذه الحجة، لكن ما أرغب في الإشارة إليه هنا، هو المعابد

المسيحية واليهودية في بلاد المسلمين، كم يبلغ عمرها؟ مثلا، في تونس، وتحديدا جزيرة جربة، معبد الغريبة اليهودي يبلغ عمره أكثر من 2500 عام، أي قبل ظهور الإسلام بقرون، ورغم ذلك لم يمسسه سوء، وبقي المعبد قائما إلى اليوم، ويحج إليه يهود العالم في كل سنة بكل حرية.

وبالرغم من الصراع القائم، بين الصهاينة والعرب، وافتكاكهم لأرض فلسطين بالقوة، واعتدائهم السافر على المسجد الأقصى، المسجد المقدس للمسلمين، ومحاولات الهدم المتكررة، إلا أن المسلمين لم يخونوا العهد، ولم يعاملوهم بالمثل، وحتى إن حدثت بعض التصرفات أو الاعتداءات الفردية، فسيدينها كل مسلم على سطح هذه الأرض.

أما بالنسبة للكنائس، فيكفي الإشارة إلى كنيسة واحدة، وهي الكنيسة المعلقة في مصر، ولن أشير إلى زمن بنائها لأنه ليس مهم بمقدار أهمية تجديدها وتحسينها، فهذه الكنيسة جددها هارون الرشيد الخليفة المسلم بطلب البطريرك الأنبا مرقس، كما تم تجديدها في عهد العزيز بالله الفاطمي الذي سمح للبطريرك أفرام السرياني بتجديد كافة كنائس مصر، وإصلاح ما تهدم. ثم تم تجديدها مرة أخرى في عهد الظاهر لإعزاز دين الله والبطريرك خريستودولوس.

وأهل الكتاب، يطلق عليهم اسم الذميين، أي أنهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من إساءتهم له، ونعتهم له بأبشع النعوت إلا أنه قال فيهم، بحسب ما جاء في كتاب السخاوي المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة ما يلي: حَدِيثٌ: " **مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ** "، أبو داود من حديث ابن وهب عن أبي صخر المدني عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول اللَّه صلى الله

عليه وسلم عن آبائهم دنْيَة عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة، وسنده لا بأس به، ولا يضره جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة، فإنهم عدد ينجبر به جهالتهم، ولذا سكت عليه أبو داود، وهو عند البيهقي في سننه من هذا الوجه، وقال: عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية، وذكره بلفظ: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة، وأشار رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بأصبعه إلى صدره: ألا ومن قتل معاهدا له ذمة اللَّه وذمة رسوله حرم اللَّه عليه ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا، وله شواهد بينتها في جزء أفردته لهذا الحديث أيضا، ومنها عن عمر بن سعد رفعه: أنا خصم يوم القيامة لليتيم والمعاهد ومن أخاصمه أخصمه. ا.هـ.[1]

لقد حرص أهل الإسلام على العناية بأهل الكتاب، ومعاملتهم أحسن معاملة، والعدل بينهم، وإقامته فيهم. وهذا يذكرنا بتلك القصة، التي حدثت في صدر الإسلام، عندما فتح الله عل المسلمين بلاد الشام، وأخذوا من أهلها الجزية. والجزية معلوم رمزي مقابل حماية ورعاية يسقط عن الشيخ والمرأة والطفل ومن التحق بجيش المسلمين.

وهذا ما حدث فعلا مع سيدنا أبو عبيدة لما فتح الله له الشام، ولكن سرعان ما رد هذه الجزية لأصحابها لأنه علم بتجهيز هرقل لجيش عظيم ليغزوهم، فوجب عليه ترك تلك الأرض والخروج لمواجهة العدو، وبالتالي هو ليس بصدد حماية

[1] المقاصد الحسنة (998)- [1044]

أولئك الذين أخذ منهم الجزية. ولم يكونوا رافضين لذلك المبدأ أبدا بل موافقين ومتقبلين الأمر بصدر رحب، والمسلمون عندهم أفضل وأحب لهم من الروم الطغاة، رغم أنهم أبناء دينهم.

وقد حزن أهل الشام على مغادرة المسلمين الأرض ورد الجزية، وبقوا بانتظار المسلمين، والحمد لله الذي نصرهم، وقد كان لهذه الحادثة الأثر الكبير في نفوسهم وسببا لدخول أهل الشام في دين الله أفواجا لأنهم عاينوا وخبروا عظمة هذا الدين، دين العدل والمؤاخاة وليس الظلم، فمن هذا الذي يقبل بمن يخالفه الدين أن يحكمه ويحميه ويحتمي به ممن كان على دينه؟

يكفي الإسلام فخرا، شهادة مخالفيه، ويكفينا فخرا الانتماء لدين العدل، دين الحرية، الذي ضمن لكل معتنق دين أن يؤدي عبادته في كنف الحرية. كم نطوق شوقا لمثل هذه الأحكام التي تعطينا حريتنا الدينية بعيدا عن الظلم والإقصاء والتهم الكاذبة والافتراءات التي لا أصل لها إلا الحقد.

الجمعة 26 رمضان 1440 الموافق لـ 31 ماي 2019

العلم في الإسلام

إن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم "اقرأ". أول ما خاطب به رب العالمين خاتم أنبيائه وخير الخلق كلهم هي كلمة "اقرأ". وفي هذا الخطاب البليغ، والأمر المهيب، يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم، ويبلغه رسالة واضحة المعاني ويحثه على العلم النافع. فالعلم في الإسلام له مكانة عظيمة جدا، أولها أنه فرض على كل مسلم، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ".**[1]

وقد كان للعلم مكانة خاصة في الدولة الإسلامية، في فترة حكم المسلمين، فتطورت العلوم النظرية، وانتقلت من مجرد نظرية إلى التطبيق والتجربة، كعلم الكيمياء، الذي كان يطلق عليه الخيمياء سابقا، وكان يستخدم في السحر، فأصبحا علما نافعا للبشرية ونجد آثاره اليوم.

كما تطور علم الطب، وتم فصل الطب عن الصيدلية، ونشأ علم الصيدلة وهو علم معرفة الأعشاب الطبية وأسرار العلاج بها. كما أن الطب تطور من المداواة الكلاسيكية إلى الجراحة، وقد قام الأطباء المسلمون بكثير من العمليات الطبية المعقدة كاستخراج الحصى من المثانة. ومن أهم كتب الطب التي كتبها علماء المسلمون كتاب فردوس الحكمة الذي كتبه ابن ربن الطبري في سبع مجلدات عام

[1] سنن ابن ماجة (220)- [224]

860 م تقريبًا، وهو أولى الموسوعات الطبية بالعربية. كما كان الطبري عالما بطب الأطفال وكان لكتابه صدى كبير خاصة وأنه بين فيه الرابط القوي بين العلاج النفسي والطب. وكيف أن العلاج النفسي والإرشاد لهما دور هام في العلاج وكتب محمد بن زكرياء الرازي كتاب الحاوي في الطب، وكتاب الجامع الكبير وكتاب المنصوري وكتاب طب الملوك. وجميعها من المراجع القيمة. كما لا ننسى كتابه أطروحة في أسباب الزكام في فصل الربيع التي فسر أسرار الإصابة بالزكام عند استنشاق الورود في فصل الربيع. كما كان للمسلمين دور كبير في تطوير أدوات الجراحة، التي تستعمل إلى اليوم.

برع المسلمون في علوم أخرى كثيرة، وأسسوا للعلوم بصفة عامة، وقد ذكرت الطب كمثال لكن أمثلة العلوم كثيرة جدا. فمثلا لولا الخوارزميات المنطقية للخوارزمي، لما كان لجهاز الكمبيوتر وجود، ولولا ابن الهيثم وعلم البصريات، لما كان لأي شاشة أو جهاز كاميرا وجود أيضا، ولولا الجزري لما كان للميكانيك الحديث وجود، ولولا البيروني لما كانت الفيزياء هي فيزياء اليوم، فهو مكتشف الجاذبية الحقيقي. ولا ننسى علم الاجتماع لابن خلدون، والجغرافيا ورسم الخرائط للشريف الادريسي بصفته من أول العلماء الذين أكدوا كروية الأرض.

والقائمة تطول، وإني أترك للقارئ المجال للبحث ليتأكد بنفسه، وليعلم حقيقة العلوم وأساساها ومصادرها، وليعلم بنفسه ويكتشف كيف كان للإسلام دور في نقل العلوم النظرية إلى التطبيقية أولا، ثم كيف كان له الفضل في انتشارها وتأسيس علوم جديدة هي التي رسمت معالم هذا العالم الجديد كما ذكرت سابقا.

السبت 27 رمضان 1440 الموافق لـ 1 جوان 2019

الدولة الإسلامية

يطلق هذا المصطلح عموما على الجماعات التي تقوم بتكوينها وتدريبها الاستخبارات البريطانية أو الأمريكية ومن على شاكلتهم وفي ظاهرهم مسلمين لكن أفعالهم عكس ذلك، يدعون باطلا أنهم يطبقون الشريعة بينما يفتقرون لكل المقومات الشرعية التي تسمح لهم بأن يكونوا جندا في جيوش المسلمين فضلا على أن يكونوا حكّاما للمسلمين ومقيمين لدين الله.

في البداية يجب أن نفهم ما معنى دولة إسلامية؟ هي دولة تحكم بحسب الشريعة الإسلامية، لا يشترط فيها النظام السياسي، ولا يشترط فيها تركيب وزاري محدد. بل هذه الدولة يجب أن تكون قائمة لأجل مصالح الناس.

كما يجب التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بإقامة دولة، ولم يأمرنا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن هذا جهده ومبتغاه، لأن الدولة الإسلامية نتيجة لمجتمع مسلم. فما نحن مأمورون به إقامة الدين ودعوة الناس إلى الدين دون انتظار النتائج، ولما يصبح المجتمع إسلامي ويرغب كله في تطبيق الشريعة فسيكون كل مترشح لمنصب من المناصب هذا هدفه ومشروعه.

ماهي أهداف الدولة الإسلامية؟ هي ضمان حرية المعتقد لكل مؤمن بالله أن يعبد الله بحسب دينه، فإذا كان من أهل الكتاب فله الحرية الكاملة في البقاء على دينه، مع احترام غيره واحترام الدولة وقوانينها، تجب عليه الجزية مقابل الأمان،

وإذا التحق بالجيش سقطت عنه، وتسقط عن كل عاجز عن آدائها. بل الدولة تتكفل بنفقته كاملة.

أما منع التبشير بالمسيحية خاصة والدعوة لباقي الأديان عامة فليس منعا تعسفيا أو منعا مطلقا. فإذا كان المسيحي يرغب في التبشير فليبشر العلماء ويناظرهم، وإن أقام الحجة في ذلك، وبين حقيقة دينه، وأنه حقا دين الحق والإسلام دين الباطل، فلا شك ولا ريب أن هؤلاء العلماء سيقبلون المسيحية إذا تبين لهم أنها دين الحق. ولكنهم لا يواجهون العلماء ولا طلبة العلماء بل البسطاء والسذج من الناس.

وكثيرا ما يتعلق مصطلح الدولة الإسلامية بدولة الخلافة، فهل دولة الإسلام هي دولة الخلافة؟ فما نعرفه جميعا، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك خليفة من أهله، بل خَلَفه الأكفأ، وهكذا سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون. ولكن باتساع رقعة الدولة، سارت الدولة الإسلامية في سياسة الحاكم كما تسير باقي الدول في ذلك العصر، ولكن بقيت محافظة على الأساس الأول في التشريع وهو الإسلام قانونا ودستورا.

فالقضاء في الدولة الإسلامية قضاء إسلامي والحكم بالأحكام الشرعية، والبت في القضايا طبقا لأحكام الشرع، فلا فرق بين غفير أو وزير في الحكم والقضاء. وبذلك حافظت الدولة الإسلامية على جوهر قوانينها وهو الشريعة الإسلامية وما فيها من أحكام وأصول.

وقد يسأل سائل، لماذا الحكم بقطع يد السارق؟ وأين العدل في ذلك؟ هل لمجرد السرقة يتم القطع؟ بالطبع لا، وعملية قطع اليد وهي إقامة الحد لو طبق اليوم

لقطعت أيدي رجال الأعمال وأغلب السياسيين. فلا غرابة في أن الحد ليس انتقاما بل رحمة، فهو عقوبة في الدنيا تنجيك من عقوبة الآخرة، لكنه حد واجب، ليكون حكما رادعا لكل من سوّلت له نفسه أخذ متاع غيره دون استئذان ودون حاجة أكيدة له.

يُحكى أن سيدنا عمر بن الخطاب، لما ولّى سيدنا عمر بن العاص على مصر سأله، إذا جاءك سارق ما أنت فاعل به؟ فقال أقطع يده، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه، وإذا جاءني جائع من عندك قطعت رأسك.

ما معنى هذا؟ هذا يعني أن الخليفة سأل الوالي، كيف سيكون نظام حكمك؟ فأجاب بأنه سيحقق العدالة الاجتماعية، أي سيحفظ لكل إنسان كرامته، وسيتولى القضاء على الفقر وضمان العيش الكريم لكل فرد، وبناء عليه سيقيم الحدود. فما كان من الخليفة إلا أن أجاب، وهدده بعبارة واضحة، إن لم تفعل ذلك فأنا من سيقيم عليك الحد.

فمن يخاف هذا الحد؟ ومن يحارب هذا الحد؟ وعلى من يجري هذا الحد؟ فهذا الحد يطبق على من اكتفى بماله وقوته ويعيش رغدا من العيش ورغم ذلك سرق غيره، ويحاربه كل سارق له سلطة سياسية، أو سلطة مالية، لكيلا يطبق عليه، لأنه مؤمن في قرارة نفسه أنه سارق، ولا ننسى المقولة المشهورة: "إذا رأيت فقيرا في بلاد المسلمين، فاعلم أن غنيا سرق ماله". فمن يخاف الحد هم الطبقة التي تمص دماء العاملين، ولهذا السبب يخافون قيام دولة تعدل بين الناس، دولة يكون العدل فيها قائما لا شعارا.

هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي قال لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر، هذا عمر بن الخطاب الذي جاءه الهرمزان، يبحث عنه، وقال عدلت فأمنت فنمت، والقصة جاءت في تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير:

أن الصحابة لما فتحوا تستر بعثوا بالهرمزان إلى عمر بالمدينة لأنه نزل على حكمه، فلما وصلوا إلى بيته لم يجدوه فيه، فسألوا عنه فقيل لهم: إنه ذهب إلى المسجد، فجاءوا إلى المسجد فلم يجدوا فيه أحدا، فرجعوا فإذا بأولاد يلعبون فقال لهم الأولاد: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد عمر، قالوا لهم: هو في المسجد نائم، فرجعوا إلى المسجد فوجدوه نائما متوسدا برنسا له ودرته معلقة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا النائم وجعلوا يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه، وجعل الهرمزان يقول: وأين حجابه وأين حراسه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا حراس ولا كتّاب ولا ديوان. فقال: ينبغي أن يكون نبيا، فقالوا: بل يعمل بعمل الأنبياء. وكثر الناس حولهم وارتفع اللغط فاستيقظ عمر ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه وكان يلبس الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللآلئ ثم قال: أعوذ بالله من النار وأستعين بالله. الحمد لله الذي أذل هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غدارة. فقال له الوافد: هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا حتى لا يبقى عليه شيء من حليته. ففعلوا وألبسوه ثوبا عاديا، فقال له عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال يا عمر: كنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما

غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا. ثم أسلم وسكن المدينة وفرض له عمر في بيت المال. اهـ.[1]

هذا هو الإسلام وهذه هي دولة الإسلام، أين يسير الحاكم بلا حراس، بل ينام وسط شعبه مطمئن البال.

وكل من يحاول ربط الدولة الإسلامية بالخلافة فقد يكون خاطئا، فالكثير من الدول اليوم تقيم الإسلام وتحكم به، مثل الشيشان والبوسنة وماليزيا وغيرها، وبعض الدول العربية لكن تحكم بالشرع نسبيا نظرا لتغلغل القوى الاستعمارية في قراراتها السياسية.

فأي دولة يرغب الفرد في العيش فيها؟ دولة ترجم الزاني، وتقتل المغتصب وتقطع يد السارق، أم دولة يموت فيها الفقير جوعا، ويداس فيها رأس العامة ممن ملكوا القوة والسلطة وممن يحاول تشويه دولة العدل؟

طبعا هذا من صنيع من له مصلحة من الظلم القائم بلا شك.

الأحد 28 رمضان 1440 الموافق لـ 2 جوان 2019

[1] بتصرف من البداية والنهاية

حال المسلمين اليوم

يقال أن حال المسلمين اليوم إما متخلفين أو مضطهدين، هكذا يراهم العالم، فغير المسلم يرى أن العالم الإسلامي متخلف، دول العالم الثالث، أما المسلمين فيروا أنهم مضطهدون، سواء في بورما أو إفريقيا الوسطى أو في فلسطين، كما أنهم غير مرغوب فيهم في دول أمريكا وأروبا ونظرة هؤلاء إليهم نظرة عنصرية واحتقار واتهام.

أولا، لماذا الدول الإسلامية دول متخلفة؟ ولماذا المسلمين متخلفين؟ الإجابة هي، هل القصد من السؤال الدول العربية أم الدول الإسلامية؟ إذا كانت الإسلامية، فهي دول غير متخلفة، وأقصد البوسنة والشيشان، وحتى بعض الدول العربية التي تدعي أنها إسلامية، وإذا نظرنا مليا إلى الدول التي تطبق فيها الشريعة بالرغم من أنها ظالمة فإنها ليست متخلفة، بل متقدمة وتصنف كأفضل الدول في المستوى المعيشي، كما أنها تمتلك أحدث التقنيات ويعتبر العيش فيها حلم كل أمريكي وأوروبي، وهي دول الخليج العربي، كقطر والامارات والعربية السعودية. كما لا ننسى باكستان كقوة نووية وإيران كذلك اللتان تصنفان كقوى عالمية.

أما بقية الدول العربية، فهي متخلفة، بحكم اغتصاب الأوروبيين لثرواتهم، وهذا لا يحتاج لدليل والاحتلال خير دليل، فقد ساهم في إضعاف الدول العربية، وانقسامها عن دولة الخلافة الإسلامية، ودعم حكام أو متحكمين موالين لهم يرعون مصالحهم وينفذون مخططاتهم.

وهذا التخلف العربي ساهم مساهمة فعالة في ترك الكثيرين للإسلام واعتناقهم للمسيحية أو البقاء بلا دين. وذلك عائد في المرتبة الأولى إلى أن الإسلام دين علم، ولا يمكن لجاهل أو متعصب أن يقبله. وسبب تخلف العرب أنهم تركوا الإسلام وتعاليمه وصار مجرد اسم، وتعاليمه وأحكامه مجرد رسم. ولكن بالرغم من ذلك فإن العرب لا يمثلون سوى خُمس المسلمين في العالم ككل.

أما في العالم المتقدم، العالم الذي وصل إلى القمر والمريخ، العالم الذي اكتشف الأرض والبحر والفضاء، هذا العالم الذي تقدم تقنيا بمآت السنوات الضوئية كما يدعون، فإن الدين الأكثر اعتناقا فيه، هو دين الإسلام. دين العقل والعلم والمنطق.

أما الاضطهاد، فهو دليل على ضعف حجة معتنقي الأديان والمذاهب الأخرى، فصاحب الحجة والحق يحاجج بالحق، ويقيم حجته بالحق، أما إذا كان جاهلا متعصبا فسيلجأ للعنف وإراقة الدماء والحرب. وهذا ما يعانيه المسلمون في كثير من الدول، حتى صار الالتزام الديني في بعض الدول العربية شبهة، وقد يصير الالتزام تهمة، ويتم مقاضاتك بقانون التطرف أو التشدد أو الإرهاب.

نعيد السؤال مرة أخرى، لماذا المسلمون متخلفون؟ الجواب هو أن المسلمين متخلفون عن دعاوى الظلم والعهر، متخلفون عن الإباحية، متخلفون عن ركب الدعارة. ولكن أخلاقيا، ورغم بعد الكثير منهم عن الدين، فإنهم أرقى الشعوب وأطيبهم قلبا. وقد يتساءل أحدهم، لماذا نرى العرب الأكثر همجية في دول الغرب؟ فنسأل، من هؤلاء وكيف وصلوا هذه البلاد، فهم إما طبقة متعلمة، أو مجموعة مجرمين وعاطلين هاجروا بطريقة غير شرعية، وليس كل من هاجر بطريقة غير شرعية هو همجي، لكن الأغلب، فقد كانوا همجيين في بلادهم فكيف سيكون

حالهم. ولكن الحقيقة أن الكاميرا الغربية لا تصور إلا هؤلاء، في حين مجالسهم ونقاشاتهم بل حتى أفلامهم ومسلسلاتهم تصور لنا حيوانية هذه الشعوب وتخلفها عن الإنسانية وركبها.

ولكن أريد أن ألفت الانتباه، أن أكبر العصابات الإجرامية لم تكن عربية أو إسلامية في يوم من الأيام، بل إن الكثير من المجرمين العرب قد تابوا إلى الله وعادوا إلى أوطانهم لما رأوه من إرهاب حقيقي في صفوف هذه العصابات، أو في عهرهم وكفرهم بالله.

الاثنين 29 رمضان 1440 الموافق لـ 3 جوان 2019

لماذا أختار الإسلام

اختيار الإسلام كدين ليس اختيارا عشوائيا، واختياره كدين ليس للتجربة أو لقضاء وقت ممتع، ونُغيّر هذا الدين ونستبدله بآخر عندما نملُّ منه. فاعتناق الإسلام كدين، والتزامه كمنهج حياة لا يتم إلا بعد اقتناع تام، وبحث وأدلة يقينية، والانضمام إلى عائلة الإسلام يعني عدم الخروج منها.

أن تكون مسلما هو يعني المرور بثلاث مراحل، من بداية الإسلام إلى الإيمان وصولا إلى الإحسان. فتبدأ بالعبادة، التي عرفها العلماء بأنها: طاعة طوعية، أساسها معرفة يقينية، مخلوطة بمحبة قلبية، تفضي إلى سعادة أبدية. والطاعة الطوعية أن تطيع الله وتعبده بإرادتك لا غصبا، والمعرفة اليقينية هي معرفة الدليل على صدق هذا الدين حقيقة، والمحبة القلبية هي حبك لله الرحمان الرحيم، الذي خلقك فسواك فعدلك، الذي علمك ما لم تكن تعلم. والسعادة الأبدية هي جنة النعيم.

وفي جولتنا الرمضانية، تعرفنا على الأديان الأكثر انتشارا والأحدث نشأة، بعدما عرضنا الدليل العلمي والعقلي على حقيقة وجود الله وصفاته، ولم نجد عقيدة يمكنها موافقة هذه الحقائق إلا عقيدة الإسلام، لذلك قررنا الخوض في تفاصيلها والإجابة على بضع الأسئلة التي تمثل عائقا لاعتناق الإسلام أو هي تعاليم أو مفاهيم غير عقلانية بالمرة كما يراها البعض أو يحاول تصويرها.

وبعد توضيح الخطوط العريضة، قد يسأل سائل، كيف أصدق وجود الجنة والنار، ووجود الملائكة، والشيطان والجن، وحادثة الإسراء والمعراج، وغيرها من الأخبار التي علّمها الإسلام، والتي يصدقها ما يقارب ملياري مسلم اليوم. فهل يوجد عليها دليل علمي أو عقلي. وهذه الأسئلة كثيرا ما تربك من لا دراية لهم بالدين، أي من ورثوه دون نظر أو دليل. دعنا نرى، هذا الكتاب المسمى القرآن، هل تصدق ما جاء فيه؟ هل هو حقا بتحدياته وبمعانيه كتاب خارق للعادة وثبت لدينا أنه من الله، إذن ما جاء به حق. كذلك الحديث، وقد ثبت لنا صحته وحقيقته.

فقد ثبت صدق القرآن، وثبت ما فيه من معجزات، وصدقه أصحاب النبي المعاصرين له ونقلوه. حتى وصلنا إلينا سليما من التحريف والإضافات. وهو دليل قاطع على أن هذا الكتاب هو من عند الله. ثم تم تناقل السنة بطريقة مثالية حفظتها من كل تحريف أو تشويه، وتم دراسة السنة دراسة مستوفية ووضع كل حديث أو حادث في إطاره والحكم على درجة صحته بحسب طريقة نقله وناقليه وما جاء فيه وما وافقه من باقي النصوص الشرعية.

ثم هذا الإسلام قد وضعني في الطريق الصحيح، للاستقلال النفسي، فبعد الإسلام، وهو ما ذكرناه حول العبادة، أتدرج وصولا للإيمان، أي قوة الإيمان، وهو الإيمان بالغيبيات يقينا، حتى يرسخ في نفسي هذا الإيمان، وتنقشع سحب الشك، لأجد نفسي في المرحلة الثالثة، التي يبدأ معها السلام النفسي بكل معانيه، وهي أن أعبد الله كأنني أراه، أن أتقي الله في كل حركة وسكنة، أتقي الله في كل قول وفعل، أن أكون مستحضرا بأن الله سبحانه وتعالى إذا لم أكن أراه فإنه يراني،

وهذا هو كمال الإيمان وهو الإحسان. وهي العبودية المطلقة لله وحده، فلا عبودية لشهوة أو ظن أو عبيد، ولا خوف إلا من الله.

هذا هو السلام النفسي، والاستقلال بذاتي، دون وضع اعتبار لأي شيء سوى الله، فيكون كل عملي وطاعتي وعلمي وسعيي في الأرض لله، ولا يجوز أبدا أن نجلس متكئين ونسعى لهذه المرحلة وهذا الشعور. الإسلام دين العقل والعلم والواقع.

الثلاثاء 30 رمضان 1440 الموافق لـ 4 جوان 2019

خاتمة

بين هذه الصفحات القليلة المكتوبة في الأيام المباركة، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، مفاتيح أبواب البحث عن الحقائق والأجوبة الكامنة في بطن هذا الكتيب. في هذه الصفحات القليلة وضعت لكل باحث رؤوس أقلام وتنويهات على أهم المواضيع التي كثيرا ما يثيرها أعداء الإسلام، للتشكيك ولإلقاء شبهات واهية، لا أصل لها ولا دليل.

الإسلام دين ثابت لم يتغير، ولن تتغير تعاليمه، لا بتغير الزمان ولا بتغير المكان، لأنه دين الواقع بلا شك. فعقيدة المسلم لا تخالف حقائق العلم بأي شكل من الأشكال ومهما طال الزمان. بل بطول الزمان تثبت الحقائق وترسخ العقيدة وتزداد الأدلة العلمية عليها. أما العبادات فليست مرتبطة بهيكل مهدم، أو بقصة تاريخية مشكوك في صحتها، ولا بحجر أو صنم.

ليكن انهاؤك لقراءة صفحات هذا الكتاب وغلقك له، يتزامن مع فتحك لكتب أخرى، وبداية لسلسلة بحوث، فيما يتعلق بالمواضيع الإسلامية، سواء تطرقنا لها أو لم نتطرق. ولعلي أجلس يوما أقرأ مجلدا تطرق لكل المواضيع مفصلة، لكاتب كان في يوم من الأيام يقرأ صفحات هذا الكتاب واختار طريق البحث والسير فيه حتى ارتوى من بحور العلوم وفيضها، ونفعنا بما علمه الله من ذلك علما غزيرا.

أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم

تمت كتابته يوم عيد الفطر المبارك الأربعاء 1 شوال 1440

الموافق ليوم 5 جوان 2019

رَوّاد – أريانة – تونس

محمد البرهومي